



خُنين بن إسحاق

آداب الفلاسفة

اختصاره

محمد بن عيسى بن إبراهيم
أحمد بن محمد الأنصاري

حفظه رستم بن رستم
الدكتور عبد الرحمن بدوي

منشورات معهد المخطوطات العربية

المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم

آداب الفلاسفة

حقوق الطبع محفوظة
لمعهد المخطوطات العربية

المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم
ص.ب ٢٦٨٩٧ الصفاة - الكويت

الطبعة الأولى

الكويت ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٥ م



حُنين بن إسحاق

آداب الفلاسفة

اختصاره

محمد بن عيسى بن إبراهيم بن
أحمد بن محمد الأنصاري

حَقَّقَهُ وَقَدَّمَ لَهُ
وَعَلَّقَ عَلَيْهِ

الدكتور عبد الرحمن بدوي

منشورات معهد المخطوطات العربية
المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ
وَعَلَى آلِهِ

تقديم

يسرُّ معهد المخطوطات العربية أن يقدم إلى القراء الكتاب الخامس ضمن منشوراته في سلسلة كتب التراث، منذ عودته إلى ممارسة نشاطه في الكويت في أواخر سنة ١٩٨١ . وتحقيق نصوص من التراث العربي ونشرها هو أحد مهام معهد المخطوطات العربية، وقد وضع خطة في سنة ١٩٨٣ لنشر عدد من الكتب المحققة حسب أصول التحقيق المعروفة، وبدأ في تنفيذ هذه الخطة منذ أوائل سنة ١٩٨٤ ، فنشر أربعة كتب لم يسبق نشرها ، وهي:

١ — مجمل اللغة لابن فارس (خمسة أجزاء)، بتحقيق الشيخ هادي حسن حمودي.

٢ — التبصرة في القراءات لمكي بن أبي طالب القيسي، بتحقيق الدكتور محيي الدين رمضان.

٣ — منقولات الجاحظ عن أرسطو في كتاب الحيوان (نصوص ودراسة) للدكتورة ودیعة طه النجم.

٤ — إصلاح ما غلط فيه الثمري في تفسير أبيات الحماسة، لأبي محمد الأعرابي، الشهير بالأسود الغندجاني، تحقيق الدكتور محمد علي سلطاني.

وهذا الكتاب الخامس الذي نشر ضمن هذه السلسلة مختصر للأصل المفقود من كتاب (آداب الفلاسفة) لحنين بن إسحق، وهو من أقدم الكتب التي تضمنت حكم فلاسفة اليونان وأقوالهم.

وحقق الكتاب الدكتور عبدالرحمن بدوي، وهو واحد من أشهر كتّاب

الفلسفة العرب، وله في الفلسفة وتاريخها العديد من الكتب ما بين تأليف وتحقيق.
وقد بذل في تحقيق الكتاب جهداً كبيراً لا يعرفه إلا من مارس مثل هذه الأعمال.
ومعهد المخطوطات العربية إذ يشكر الدكتور عبدالرحمن بدوي على هذا
الجهد الطيب، ليأمل في أن يكون قد قدم إلى العربية والعاملين فيها شيئاً جديداً
ونافعاً.

والحمد لله رب العالمين.

د. خالد عبدالكريم جمعة
مدير معهد المخطوطات العربية

تصدير عام

كتاب «نوادير الفلاسفة والحكماء» لحنين بن إسحق هو أقدم مجموع من حكم الفلاسفة اليونانيين صُنّف في اللغة العربية، ومنه سيستمد كل أو جل من سيُصنّف في هذا الباب مثل أبي الفرج بن هندو^(١)، ومُسكويه^(٢)، والمبشر بن فاتك^(٣).

بيد أن هذا الكتاب لم يصلنا في صورته الأصلية، بل في صورة مختصرة قام بها من يدعى محمد بن علي الأنصاري، وهو شخص لا نعرف عنه شيئاً، والترجمة العربية التي قام بها يهودا الحريزي إنما قامت على أساس هذه الرواية المختصرة. لهذا لا نستطيع أن نعرف بالدقة ماذا كان عليه النص الأصلي الذي صنّفه حنين بن إسحق (المتوفى سنة ٢٦٠هـ/٨٧٣م)، وماذا حذف الأنصاري منه، وما عسى أن يكون قد أضاف إليه أو بدّل في ألفاظه.

والحق أن المشاكل الفيلولوجية التي يثيرها كتاب حنين بعامة، وفي صورته المختصرة الواصلة إلينا، عديدة ومعقدة وربما كانت غير قابلة للحل، ومع ذلك نثيرها، ونحاول استجلاء بعض غوامضها ما استطعنا إلى ذلك سبيلاً.

-
- (١) أبو الفرج بن هندو (المتوفى سنة ٤١٠هـ): «الكلم الروحانية في الحكم اليونانية»، القاهرة سنة ١٣١٨هـ.
 - (٢) مسكويه (المتوفى سنة ٤٢١هـ): «الحكمة الخالدة: جابردان خرد» الذي نشرناه في القاهرة سنة ١٩٥٣.
 - (٣) المبشر بن فاتك (صنّفه سنة ٤٤٥هـ): «مختار الحكم ومحاسن الكلم» الذي نشرناه في مدريد سنة ١٩٥٨.

[١]

عنوان الكتاب

وأول هذه المشاكل مشكلة عنوانه:

أ — فقد ورد في مخطوط الأسكوريال رقم ٧٦٠ بعنوان: «آداب الفلاسفة».

وذكره ابن أبي أصيبعة بعنوان: «نوادير الفلاسفة والحكماء وآداب المعلمين القدماء».

ج — وذكره حاجي خليفة في «كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون» هكذا: «نوادير الفلاسفة والحكماء لحنين بن إسحق»^(١).
د — وفي مخطوط منشئ ورد العنوان هكذا: «نوادير الفلاسفة والحكماء».

[٢]

مخطوطاته

والنص العربي قد وصلنا في ثلاث مخطوطات هي:

أ — مخطوط منشئ (ميونيخ في ألمانيا) رقم ٦٥١ عربي.

وهو الذي حظي بعناية الباحثين المحدثين في النصف الثاني من القرن الماضي: فوصفه أومر Aumer في الفهرست الذي صنّفه للمخطوطات العربية في مكتبة الدولة في منشئ^(٢). وتناوله أوجست ملر Müller في مقال نشر في مجلة^١

(١) حاجي خليفة: «كشف الظنون...» ج ٦ ص ٣٨٧ تحت رقم ١٤٠٧، نشرة فلوجل ج ٢، عمود ١٩٧٩، استانبول سنة ١٩٤٣.

(٢) Aumer: Katalog d. orientalischen Handschriften zu München, S. 286.

ZDMG المجلد رقم ٣١ ص ٥٠٧ ، وألح إليه كورنل^(١) Cornill .

وهذا المخطوط ناقص في بدايته، إذ يبدأ بعد البسملة بالفصل الخاص: «نقوش فصوص خواتيم الفلاسفة» (ورقة ١٧ من مخطوط الأسكوريال)، أي أنه ينقصه تسع صفحات من مخطوط الأسكوريال.

كذلك يوجد خرم بعد الورقة ١٢٩ يستمر حتى الورقة ١٣١ أ. وبعد ورقة ١٧٩ يوجد خرم آخر.

ب — مخطوط الأسكوريال برقم ٧٦٠ :

وقد جعلناه الأساس في نشرتنا هذه:

١ — ويتألف من ٦٥ ورقة، وفي الصفحة ١٧ سطراً. وخطه مغربي واضح. ومضبوط بالشكل شبه الكامل. وضبطه صحيح لغوياً ونحواً، إلا في النادر. والعنوانات، وقوله: قال... بخط كبير.

٢ — وعنوان الكتاب كما يلي: «كتاب آداب الفلاسفة، لمحمد بن علي إبراهيم أحمد بن محمد الأنصاري، عفا الله عنه بمنه وبكبره».

٣ — وخاتمته هكذا: «تم الكتاب بحمد الله وحسن عونيه في ذي القعدة سنة أربع وتسعين وخمسمائة. وصلى الله على محمد البشير النذير وعلى آله الطاهرين الطيبين وشرف وكرم». ويتلوه تعليق في الهامش يقول: وجدت في آخر الكتاب المتسخ منه هذا الكتاب: تم الكتاب بحمد الله من...» و ٨ كلمات غير واضحة.

(١) Cornill: Mashafa Falasta. Leipzig, 1875.

ج — مخطوط المكتبة المركزية في طهران رقم ٢١٠٣

وهو مخطوط زائف، زعم بائه — وصدقه أصحاب المكتبة! — أنه بخط حنين بن إسحق نفسه، بينما يتضح للقارئ في الحال أنه مزيف لأن فيه الكثير من الأخطاء. وورقه لا يمكن أن يكون من القرن الثالث الهجري، بل هو ورق حديث لا يزيد عمره عن خمسين سنة، وقد عولج في فرن ليبدو قديماً. وفضلاً عن ذلك فهو ناقص جداً. ولهذا أضربنا عن ذكر أخطائه وقراءاته ويغلب على الظن أنه منقول عن مصوِّرة لأحد المخطوطين السابقين.

[٣]

الترجمة العبرية

وقد ترجم الكتاب إلى اللغة العبرية يهودا بن سليمان الحريري، الشاعر اليهودي الشهير الذي عاش في الثلث الأول من القرن الثالث عشر الميلادي (السابع الهجري) في الأندلس، وقام بأسفار عديدة في المشرق وفي جنوبي فرنسا. وكان يتقن اللغتين العربية والعبرية. وبدأ نشاطه مترجماً من العربية إلى العبرية. فترجم «مقامات»^(١) الحريري بأسلوب عبري حاول فيه تقليد أسلوب الحريري بمحسناته البديعية، وصناعته اللفظية المعقدة، وسجعه المستمر. كما ترجم «دلالة الحائرين»^(٢) لموسى بن ميمون وشرحه على المشنا (لكن لم يترجم من هذا الشرح إلا قسماً فقط).

(١) عنوان «مجموعات أثيل» وقد نشره Chennery في لندن، سنة ١٨٧٢ .

(٢) بعنوان «موره نبوكيم»، وقد نشره L. Schlossberg في لندن سنة ١٨٥١ ، مع تعليقات بقلم . Scheyer

وتوجد هذه الترجمة العبرية في عدة مخطوطات. ونشر هذه الترجمة A. Loewenthal بعنوان מוסרי ה'פ'ל'ס'ם (موسري هـ — فيلوسوفيم) في فرانكفورت على نهر الماين في سنة ١٨٩٦ . وقد قام بعد ذلك بترجمة هذه الترجمة إلى اللغة الألمانية، مع مقدمة ضافية (ص ١ — ص ٤٤) وتعليقات وفيرة. وعنوان هذه الترجمة الألمانية هو:

Honein Ibn Ishâk: **Sinnsprüche der Philosophen.** Nach der hebräischen Uebersetzung Charisi ins Deutsche übertragen und erläutert von dr. A. Loewenthal Rabbiner der Synagogen Gemeinde in Tarnowitz G.-S.
Berlin, S. Calvary & Co. 1896. VIII + 193S.

وقد ذكر اشتينشنيدر M. Steinschneider في كتابه «التراجم العبرية عن العربية» (ص ٣٥٠ ، وفي الملحق ص XXVII) عدداً هائلاً من المخطوطات العبرية، كما توجد مخطوطات عديدة أخرى لم يذكرها. وقد قام ليفنتال في مقدمة ترجمته الألمانية (ص ٣٩ — ٤٣) بتصنيف هذه المخطوطات وفقاً لاختلاف ترتيب الفصول فيها. فمناها صنف يرتب الفصول بحسب الموضوعات، فمثلاً يورد كل ما يتعلق بالإسكندر الأكبر في باب واحد. وصنف ثان يتفق مع الترتيب الوارد في الترجمات الأسبانية. وصنف ثالث هو أقرب إلى الترتيب الوارد في النص العربي. وحسبنا هذا القدر، وعلى طالب المزيد أن يرجع إلى مقدمة ليفنتال.

ولنقارن الآن بين الترجمة العبرية، كما نشرها وترجمها ليفنتال، والنص العربي كما نشره هنا:

١ — تبدأ الترجمة العبرية باستهلال كتبه يهودا بن سليمان الحريزي يدعو فيه القارئ إلى إرعاء سمعه لكلام الحكماء، وتزيين عقله بأدابهم وتتويج بلاغته بسحر كلامهم. وأسلوبه منمّق كثير الصنعة البديعية. ويقع هذا الاستهلال في

صفحتين.

٢ — ثم يأتي الباب الأول، الفصل الأول، ويبدأ بما يناظر في النص العربي: «قال أبو زيد حنين بن إسحق: وقد بلغنا أن أفلاطن الحكيم نظر إلى بعض التلامذة وهو يكتب...»، أي ورقة ٥٨ في مخطوط الأسكوريال. ومعنى هذا أنه ينقص الترجمة العبرية خمس صفحات وخمسة أسطر في بداية النص العربي من مخطوط الأسكوريال.

٣ — ومن ثم تتابع الترجمة العبرية النص العربي حتى نهاية ص ٦٦. لكن ابتداء من ص ٦٦ ب يختلف الترتيب. ففي النص العربي يرد: «ذكر الفلاسفة....». أما في الترجمة العبرية فتزد حكاية الشاعر أبيقوس مع اللصوص: (ص ٥٢ — ٥٤ من الترجمة الألمانية).. وهذه الحكاية لم ترد في كثير من مخطوطات الترجمة العبرية، كما لم ترد في النص العربي.

٤ — ثم يستأنف الاتفاق بينهما ابتداءً من أول ص ٦٦ ب (ويقابل فصل ٤ ص ٥٤ من الترجمة الألمانية): «ذكر الفلاسفة: الفلاسفة هم....». ويتلو ذلك «نقوش فصوص خواتيم الفلاسفة». وهنا نجد خلافاً فيما يتعلق بسقراط. فبعد: «...أراح قلبه» نجد في العبرية: «وعلى جدار المعبد كتب: أيها الإنسان! إذا اتقيت ربك...». وينقص الترجمة العبرية نقشا خاتمي أفلاطس وسيلاقس.

٥ — ويتلو ذلك «اجتماعات الفلاسفة في بيوت الحكمة في الأعياد وتفاوض الحكمة بينهم» (٨ أ عربي = ف ٦ ص ٦٨، ترجمة ألمانية). والاتفاق بين العربي والعبري تام تقريباً. ويستمر الاتفاق حتى ص ١٦ أ من النص العربي (= ص ٧٦ س ١٢ من الترجمة الألمانية).

٦ — إذ يبدأ هنا الاختلاف: ففي العربي نجد فصلاً بعنوان: «آداب

الفلاسفة المذكورين بالحكمة والمعرفة. آداب سقراط...». بينما في الترجمة العبرية نجد: «يروي أمونيوس أنه أثناء مأدبة أقامها الملك هيرقيلوس تكريماً لابنه...» ويتلوه (فصل ١٩) اجتماع للفلاسفة في قصر كبير في أيام أفطوفيلوس عند الحكيم يورينوس، وجرى الكلام حول الموسيقى. ثم يأتي الباب الثاني في الترجمة العبرية ويبدأ بـ «آداب الفلاسفة المذكورين بالحكمة والمعرفة. آداب سقراط...». ويتلوه (ص ١٠١ — ١٠٨) آداب أفلاطون، ويتلوه آداب أرسطوطاليس (ص ١٠٨ — ١١٢)؛ ثم رسالة أرسطوطاليس إلى الإسكندر (ص ١١٢ — ١١٦).

٧ — ويتلو ذلك آداب الإسكندر (ص ١١٦ — ١٢١)، ثم آداب ذيوجانس (١٢١ — ١٢٥)؛ ثم وصايا فيثاغورس المسماة بالذهبية (١٢٥ — ١٢٨). ثم آداب أبقرات (١٢٨ — ١٣١)؛ ثم آداب جالينوس (١٣١ — ١٣٤)؛ ثم آداب بطليموس (١٣٤ — ١٤٠)؛ ثم آداب لقمان (١٤٠ — ١٤٤)؛ ثم آداب هرمس (١٤٤ — ١٤٧)؛ ثم آداب هوميروس (١٤٧ — ١٤٨)؛ ثم آداب أنطونيوس (١٤٨ — ١٤٩)؛ ثم آداب سولون (١٥٠ — ١٥١)؛ ثم آداب بلنياس (١٥١ — ١٥٣).

وكل هذه الفصول تتفق مع ما ورد في النص العربي؛ لكنها وردت في النص العربي ابتداءً من ورقة ٤٤ أ بعد «جواب أم الإسكندر لأرسطاطاليس» وما سبقه من أخبار عن موت الإسكندر، بينما هذه الأخبار التي تدور حول موت الإسكندر تأتي في الباب الثالث من الترجمة العبرية (ص ١٧١ — ١٩٣) وبها نختم هذه الترجمة. فالاختلاف بين النص العربي والترجمة العبرية هو في الترتيب فحسب.

ومن هذه المقارنة يتبين أن الاختلاف بين النص العربي والترجمة العبرية التي نشرها ليفنتال وترجمها إلى الألمانية ينحصر فيما يلي:

أ — ينقص الترجمة العبرية الفصل الأول في النص العربي، وهو الذي يتناول

فَرَّقَ الفلسفة.

ب — الاختلاف في ترتيب الفصول. وفي نسبة الأقوال.

ج — بعض المناقص الصغيرة، واختلاف القراءات في بعض النصوص.

وقد أفاد من ترجمة الحريزي هذه كثير من الكتاب العبرانيين منذ البداية: نذكر منهم نجيل بن يكتيل (حوالي سنة ١٢٨٧) وعمانويل بن سليمان (حوالي سنة ١٣٢٠م)، وشمطوب فلقيرة.

[٤]

الترجمة الإسبانية

كذلك توجد ترجمة أسبانية لهذا الكتاب بعنوان Proverbios Buenos مخطوطتان في الأسكوريال، الأولى برقم L-111-2، والثانية برقم H-111-1 وترتيب الفصول فيها يختلف عن ترتيبها في الأصل العربي. إذ تبدأ برسالة أرسطوطاليس إلى الإسكندر، ثم يتلو ذلك آداب الإسكندر والأخبار حول موته (ص ٢٨ — ٤٥ في أول هذين المخطوطتين)، ويتلو ذلك آداب ذيوجانس (٤٥ — ٤٦)، ثم آداب فيثاغورس (٤٦ — ٤٨)، ثم آداب أبقرات (٤٨ — ٤٩). لكن في كلا هاتين المخطوطتين تنقص الفصول الخاصة بآداب جالينوس، وبطليموس، ولقمان، وهرمس، وأوميروس، وأنينوس، وسولون، وبلنياس، وإقليدس، والمسائل إلى الحكماء وأجوتهم عليها، وآداب مهادر جيس، وآداب الجن. لكن يتلو ذلك حكاية أبيقوس الشاعر (٥٠ — ٥١)، ونقوش خواتيم الحكماء (٥١ — ٥٢)، واجتماع أربعة الفلاسفة (٥٢ — ٥٣)، وخمسة الفلاسفة (٥٣ — ٥٤)، وأهمية اجتماعات الفلاسفة (٥٤ — ٥٧)، ووصية فيلسوف لتلميذه. ويتلو ذلك اجتماع ٧ فلاسفة

(٥٧ — ٥٨)، و ١٠ فلاسفة (٥٨أ — ب)، و ١٣ فيلسوفاً (٥٨ — ٥٩).
ويتلو ذلك آداب سقراط، وأفلاطون، وأرسطوطاليس (٥٩ — ٦٧)^(١).

وقد نشر هذه الترجمة الأسبانية كنوست في كتابه Mitteilungen aus dem Eskurial؛ توبنجن سنة ١٨٧٩. ولكنه رتبته بحسب الترجمة العبرية.

ولا بد من فحص دقيق لمعرفة: هل تمت هذه الترجمة الأسبانية عن الأصل العربي مباشرة، أو عن ترجمة وسطى: عبرية أو لاتينية، وإن كان قد ورد في فهرست مكتبة الأسكوريال ما يلي: «أمثال جميلة قالها الفلاسفة والحكماء القدماء، ترجمها حنين من اليونانية إلى العربية، وترجمها من العربية إلى اللاتينية والأسبانية كاتب غير معلوم».

[٥]

من أين استقى حنين بن إسحق مجموعته هذا؟

لكن هذه المشكلة وغيرها تهون بالقياس إلى مشكلة رئيسية عويصة وهي:
من أين استقى حنين بن إسحق هذا المجموع؟ وهل نقله كله عن أصل يوناني، أو
أضاف إلى ما وجدته في الأصل اليوناني؟

ومن أوائل من تناولوا هذه المشكلة أوجست مٌلر في مقال له بمجلة
ZDMG (ج ٣١، ص ٥٢٥)، فتساءل: إذا كان حنين بن إسحق قد استمد

(١) ولكن ينقص هذه الترجمة الأسبانية الفصول التالية: (أ) فصل الحكماء الأربعة: اليوناني والهندي والرومي والفارسي، (ب) الفصول الخاصة بالموسيقى، (ج) الفصول التالية لآداب بقرط وهي: آداب جالينوس، آداب بطلميوس، آداب لقمان، آداب هرمس، آداب أوميروس، آداب انينوس، آداب سولون، آداب بلينياس؛ آداب إقليدس؛ آداب فلاسفة مختلفين؛ آداب مهادر جيس، آداب سليمان والمائة وعشرة من الجن.

مجموعه هذا من مختارات يونانية، فكيف حدث أن الآداب (الحكم، الجمل
القصار) التي يوردها هي مصبوعة بصبغة شرفية؟ إنه لا بد قد تصرف على هواه
مع مصادره اليونانية، ما دام قد ألبس الفلاسفة اليونانيين الذين نسب إليهم ما
نسب من أقوال، ألبسهم رداءً شرقياً. ثم أخبار الإسكندر تجعله يلعب دور نبي في
الفترة السابقة على الإسلام وعلى غرار النموذج الإسلامي للنبي محمد ﷺ، فكيف
حدث هذا إذا كان حنين إنما ينقل عن أصل يوناني؟ ثم إذا كان مصدر حنين
مصدراً يونانياً قديماً، فلا محل للقمان، لأن الأدب اليوناني لم يعرف لقمان.

ويرد ليفنتال (ص ٦) على هذه التساؤلات بأن يقول إن حنين إنما قصد
بمجموعه هذا أن يقدم كتاباً في الأخلاق. ولكي يبلغ هذا الغرض جمع كل ما
وجده في ميدان الأخلاق والآداب، سواء عن المؤلفين اليونانيين أو غير اليونانيين.
أما أخبار الإسكندر وآدابه فقد استقاها من قصة للإسكندر مكتوبة بالعربية
واتخذت صبغة إسلامية. أما الطابع الشرقي للآداب التي يوردها عن الفلاسفة
والحكام اليونانيين فمرجهه إلى أن البيزنطيين كانوا قد صبغوا الآداب اليونانية
بصبغة شرقية، كما بين ذلك كرومباخر^(١).

وينتهي ليفنتال إلى القول بأن اللون الشرقي في الآداب لا يرجع إلى حنين
نفسه، بل إلى المصدر اليوناني الذي نقل عنه؛ كما أن تصوير الإسكندر بالصورة
الواردة في الكتاب يرجع إلى مصدر عربي استقى منه حنين أخبار الإسكندر.
لكن ثم عناصر أخرى في مجموع حنين هذا: فثم عناصر مسيحية تتمثل
في أن بعض عبارات الإنجيل قد وردت على لسان بعض الفلاسفة اليونانيين.
وليفنتال يفسر هذه الظاهرة بكون بعض المجموعات البيزنطية التي صنفت في

(١) Krumbacher: Mittelgriechische Sprichwörter. München, 1893, S. 24f.

القرن التالية لاعتناق البيزنطيين للمسيحية قد أولجت فيها أقوال مسيحية من الإنجيل ورسائل بولس وغيرها، كما يبين ذلك كورنل^(١).

ويتساءل مُلر: «كيف تأتني الحنين، وهو مسيحي، أن ينسب إلى لقمان قولاً وارداً في إنجيل لوقا؟ وهو يشير إلى قول لقمان يعظ ابنه: يا بني: «لا تسرع إلى أرفع موضع في المجلس، فالموضع الذي ترفع إليه خير من الموضع الذي تنحط فيه». وقد ورد هذا القول في إنجيل لوقا، فصل ١٤، العبارات ٧ — ١٠.

ويعلّق ليفنتال على هذا التساؤل فيلاحظ أن هذه الفكرة نفسها موجودة في سفر «الأمثال» (٢٥ : ٦)، وفي التلمود البابلي (يسافيم ١١٢ أ). لقد كانت فكرة شائعة، ولا حاجة إلى استقائها من إنجيل لوقا وحده. ومثل هذا يقال عن مواضع أخرى أوردها مُلر وظن أنها مسيحية إنجيلية خالصة، مثل القول المنسوب إلى سقراط وإلى أبقراط وهو: «احرص على الموت توهب لك الحياة». إذ يرى مُلر أنه مأخوذ مما ورد في إنجيل يوحنا (١٢ : ٢٥) حيث يرد: «من يحب حياته يفقدها، ومن يكره حياته وهذه الدنيا، يصنّها ويحفظها إلى الأبد». ويلاحظ ليفنتال إن هذا المعنى ورد في التلمود البابلي ص ٧ كسؤال وجهه الإسكندر إلى حكيم هَنُوخ.

والخلاصة — في رأي ليفنتال — أن حنين بن إسحق إنما نقل عن الأصل اليوناني — البيزنطي دون أن يضيف من عنده إلّا ما نقله من أخبار الإسكندر نقلاً عن مصدر عربي. وليس لحنين إلّا الأسلوب العربي لهذا المجموع.

ثم يتناول ليفنتال بعد ذلك مسألة المصادر التي استقى منها حنين. ويقرر

في هذا الباب ما يلي:

(١) Cornill: Das Buch der weisen philosophen nach der aethiopischen untersucht. Leipzig, 1875.

أ — استقى حنين مجموعته هذا ليس فقط من مصادر يونانية بلغة يونانية، بل أيضاً من مصادر يونانية ترجمت إلى السريانية والعربية.

ب — لم يتورع حنين من الاقتباس من كتب «أمثال» لمؤلفين عرب. ثم يدخل في التفاصيل فيقرر:

١ — حكاية الشاعر أبيقوس — وهي غير موجودة في نصنا العربي — وردت في كتاب فلوطرخس: «في الثثرة De garrulit (فصل ١٤ ؛ مجموع مؤلفات فلوطرخس، ج٣). ووردت في «منتخبات القصر» (الكتاب الثالث، الانجرام رقم ٧٤٥).

ونلاحظ نحن أن حكاية أبيقوس وردت في «الإمتاع والمؤانسة» لأبي حيان التوحيدي (الجزء الأول).

٢ — نقوش خواتيم الفلاسفة: يبدو أن حنين قد استقاها من مجموع كبير من النقوش اليونانية على الخواتيم والمناطق.

٣ — اجتماعات الفلاسفة، وكذلك خطبة أرسطوطاليس، لم يستطع ليفنتال أن يجد مصدراً لها.

٤ — الفصل الخاص بالموسيقى، وقد نقل بعضه أخوان الصفا في رسائلهم، مأخوذ من الأدب اليوناني المتأخر.

٥ — آداب سقراط هي غالباً تخص ذيوجانس الكلبي. ويفترض ليفنتال أن الخلط بين سقراط وذيوجانس الكلبي قد وقع في العصر اليوناني.

٦ — وفي التعليق على آداب أفلاطون، وأرسطوطاليس، والاسكندر، وذيوجانس، أشار إلى بعض المصادر.

٧ — وآداب أبقرات يرجع بعضها إلى سقراط، وبعضها الآخر فيه مشابهة

مما ورد في كتاب «الفصول» لبقرط.

٨ — وأقوال لقمان وهرمس يغلب على الظن أنها من أصل مسيحي.

٩ — فيما يتعلق بمهادرجيس أشار اشتينشنين إلى أنه تحريف لاسم:

مركور Mercur (عطارد).

١٠ — ويفترض ملر أن الآداب المختلفة الواردة في آخر الكتاب ذات

مصدر عبراني.

ونلاحظ نحن على آراء ليفنتال هذه أنها لا تحل المشكلة في شيء:

أ — فهو لم يذكر مجموعاً يونانياً واحداً استقى منه حنين.

ب — وحتى آداب سقراط وأفلاطون وأرسطو وسائر الفلاسفة اليونانيين

لم يردّها إلى مصادر بعينها، بل راح في التعليقات (ص ٨٧ — ١٧٠) يقارن فقط بين ما ورد في الترجمة الأسبانية أو لدى بعض المؤلفين المسلمين المتأخرين عن حنين بن إسحق، مثل المبشر بن فاتك، والشهرستاني، والثعالبي، الخ. وكل هذا لا شأن له بالمشكلة التي نحن بصدددها.

[٦]

«المنتخبات» في الأدب البيزنطي

فلنحاول نحن الآن حل هذه المشكلة ونتناولها من رأسها، فنبحث في الأدب البيزنطي عسى أن نجد فيه منتخبات ربما يكون حنين بن إسحق قد استقى منها.

١ — وهنا نجد أول ما نجد: يوحنا استوباويوس Ioannes Stobaios الذي

عاش بحسب أراجح الآراء في العقود الأولى من القرن الخامس الميلادي. فقد صنف مجموعاً ضخماً من المنتخبات، كان موجوداً بأكمله في عهد فوتيوس Photios (المتوفى سنة ٨٩١م)، ولكن ما بقي لدينا منه اليوم فيه خروم.. إذ كانت مقدمته تنطوي على فصلين، لكن لم يبق لنا منها اليوم إلا خاتمة الفصل الثاني. وكان الفصل الأول من هذه المقدمة يهدف إلى بث حب الفلسفة في نفس الشباب. ويتلو الفصل الثاني وفيه نظرة عامة عن فِرَق الفلسفة، وتوصية بدراسة الرياضيات والموسيقى بوصفهما أساسيين للتربية. ونحن نعرف مضمون هذا الفصل المفقود مما ذكره فوتيوس.

لكن هذا هو بعينه مضمون الخمس الصفحات والنصف الأولى من كتاب حنين بن إسحق. لهذا نحن نفترض أن هذه الخمس الصفحات والنصف في كتاب حنين هي بعينها الفصل الثاني من مقدمة كتاب استوبايوس المفقودة. وتكون ترجمة حنين قد أنقذت من الضياع الأصل اليوناني للفصل الثاني من كتاب استوبايوس. وتضم هذه المأثرة إلى سائر المآثر التي للترجمات العربية من اليونانية (راجع كتابنا La Transmission de la philosophie greeque au monde arabe, Paris 1968.

وبعد هذا فلننظر في ما بقي لنا من كتاب استوبيه، بحسب النشرة الممتازة التي قام بها Augustus Meineke في ليستك سنة ١٨٦٠ ، ١٨٦٤ عند الناشر Teubner في سلسلة توينر المشهورة للنصوص اليونانية واللاتينية. وتألف هذه النشرة^(١) من جزئين:

(1) Ioannis Stabaei: Eeologarum Physiearum et Ethiearum Libri duo. Recensuit Augustus Meineke. Lipsiae, in aedibus B.G. Teubneri, MDCCCLX, MDCCCLXIV.

الأول يشمل القسم الفيزيائي ويقع في ٣٦٨ ص .

والثاني يشمل القسم الأخلاقي ويقع في ١٢٠ ص.

لكننا لم نجد في هذين المجلدين شيئاً من الأقوال الواردة في كتاب حنين: أيكون السبب في هذا أن ما أورده حنين مأخوذ من مواضع مفقودة في الأصل اليوناني؟ هذا غير معقول. الأرجح عندنا أن حنيناً لم ينقل عن استوبيه مباشرة، بل عن مجموع نقل عن استوبيه وإلا لكان قد أورد أقوالاً من سائر كتاب استوبيه غير ما أورده من الفصل الثاني من المقدمة المفقودة.

٢ — والمجموع الثاني الذي يمكن أن يكون قد استقى منه حنين هو

كتاب: *Kephalaia theologika etoi eklogai ek diaphoron biblion ton te kathemas kai ton thurathen.*

«الرءوس اللاهوتية،

أي الأقوال المنتخبة من كتب مختلفة مسيحية وعلمانية».

وهو كتاب حافل بالحكم والآداب الأخلاقية. ولا يعرف من مؤلفه ولا العصر الذي جمع فيه. بيد أنه ينسب إلى مكسيموس صاحب الاعتراف Maxime de Chrysopolos وقد طبع في P G بإشراف ميني Migne ،

المجلد ٩١ عمود ٧٢٢ — ١٠١٨ .

وأكثر الأقوال الواردة فيه مأخوذة عن مصادر مسيحية: العهد القديم والعهد الجديد من الكتاب المقدس، آباء الكنيسة مثل باسيليوس، ويوحنا الذهبي الفم، وفيلون، وجريجوريوس النوساوي، الخ. لكنه يحتوي على قدر كبير جداً من الأقوال المنسوبة، إلى الفلاسفة اليونانيين: ديمقريطس، سقراط، أفلاطون، أرسطو، ذيوجانس، ابكتاتوس، والشعراء اليونانيين: سوفقليس، ميناندر، والإسكندر.

المكبر، وديموستانس الخطيب، وفيثاغورس، وايسقراطيس الخطيب، وسولون، وأرسطبس وفلوطرخس، إلخ.. إلخ.

ولا بد من دراسة متأنية لمعرفة ما بين أقوالهم عند مكسيموس وعند حنين بن إسحق. وهو أمر لم يتيسر لنا ونحن نكتب هذا التصدير. وربما تناولناه بالبحث المفصل ذات يوم.

٣ — والمجموع الثالث هو كتاب «المتوازيات المقدسة» *Sacra parallela* المنسوب إلى يوحنا الدمشقي. ولكنه، وكما يدل عليه عنوانه، يقتصر على أقوال مأخوذة من الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد، ومن مؤلفات آباء الكنيسة الشرقية: باسيليوس، نيلوس، فيلون، ديديموس، يوحنا الذهبي الفم، جريجوريوس النوساوي، كيرلس، يوسابيوس، إلخ. وقد نشره Michel Lequien في مجموعة PG ج ٩٥ عمود ١٠٤١ — ١٥٨٨ ، ج ٩٦ عمود ٩ — عمود ٤٤٢.

ولما كان لا يشتمل إلا على أقوال واردة في الكتاب المقدس وفي مؤلفات آباء الكنيسة، وكان كتاب حنين خلواً من مثل هذه الأقوال، فلا شأن لهذا المجموع بكتابنا هذا.

٤ — والمجموع الرابع^(١) صنفه راهب يوناني يدعى أنطونيوس غير معروف

(١) راجع عنه:

a) Fabricius: Bibl. gr. IX, 744.

b) R. Dressler: «Quaestiones Criticae ad Maximi et Antonii gmonologias spectantes», in Jahr b. f. Philol. Suppl. V (1869), S. 307.

c) Krumbacher: Byzant. Lit., 289.

d) C. Wachsmuth: Studierc zu den Griech. Florilegien, S. 108 F. Berlin, 1882.

متى عاش، لكنه عاش بعد فوتيوس (المتوفى سنة ٨٩١م) لأنه ينقل عنه. وعنوان هذا المجموع هو Melissa ولهذا فإن الطبقات الحديثة تذكر المؤلف تحت اسم: انطونيوس ملساً، وهو خطأ، ويتألف هذا المجموع من مقالتين تقعان في ١٧٦ فصلاً.

وقد نشر ملحقاً بكتاب استوبايوس في فرانكفورت سنة ١٥٨١، وفي جنيف سنة ١٦٠٩. وطبعه ميني Migne في مجموعة الآباء اليونانيين PG المجلد رقم ١٣٦ عمود ٧٦٥ — ١٢٤٤.

وشأنه شأن مكسيموس: ينقل ليس فقط عن الكتاب المقدس وآباء الكنيسة، بل أيضاً عن الفلاسفة والخطباء والكتاب اليونانيين: فلوطرخس، ديمقريطس، سقراط، أرسطوطاليس، أنتيفانس، ذيجانس، يوريفيدس (المؤلف المسرحي)، كاتون، لوقيانوس، فلستيونس، أبسقراطيس (الخطيب)، هيردوت، ميناندر (الشاعر) ثيوجنيدوس، ليوميس، فيثاغورس، انطيوخون، هيرقليطس، ديموستانس، ثموستكلس، موسخيون، ديونسيوس الملك، الإسكندر الأكبر، أرسطيفوس، إلخ.

والمؤلف عاش في عصر حنين بن إسحق (المتوفى سنة ٨٧٣م) وبعده لأنه يذكر فوتيوس الذي توفي سنة ٨٩١م.

ولا بد من فحص دقيق لهذا المجموع، شأنه شأن مجموع مكسيموس، من أجل معرفة ما عسى أن يكون حنين بن إسحق قد نقله عنه. لأن فحصنا السريع له لم يسفر عن العثور على أقوال مشتركة بين المجموعتين. ونرجح أن حنيناً لم يعرف مجموع أنطونيوس هذا. ويرجح هذا الفرض أن بعض الباحثين، مثل فكسموت^(١)،

(١) Curt Wachsmuth: Studien zu den griechischen Florilegien, S. 110. Berlin, 1882.

يجعل الراهب انطونيوس هذا يعيش بين نهاية القرن التاسع ونهاية القرن الثالث عشر الميلادي. وسائر أصحاب المجاميع قد عاشوا بعد القرن التاسع فلا محل لذكرهم. كذلك لا محل لذكر ذيوجانس^(١) اللأوسي وكليمانين^(٢) السكندري من القرنين الثالث والثاني الميلادي).

ماذا نستنتج من دراسة هذه المجاميع؟ نحن نستنتج أنه لم يكن واحد منها هو المصدر المباشر لحنين بن إسحق.

ولا بد أنه كان هناك مجموع آخر هو الذي كان المصدر المباشر لمجموع حنين هذا. ولكنه لم يصلنا، شأنه شأن العديد جداً من الكتب والمجموعات اليونانية.

وقد عاش حنين بن إسحق في المدة نفسها التي عاش فيها فوتيوس Photios بطريرك القسطنطينية الشهير (كان بطريركاً من سنة ٨٥٧ إلى ٨٦٧ ، ومن ٨٧٧ إلى ٨٨٦م)؛ وقد ولد — في أرجح الآراء حوالي سنة ٨٢٠م ، وتوفي في سنة ٨٩١ ، أي بعد حنين (المتوفى سنة ٨٧٣) بثماني عشرة سنة. وقد صنف كتاباً عرف باسم «المكتبة» Bibliothēke (أو Muriabiblos وهو عنوان لا يوجد في أي مخطوط. وفي هذا الكتاب وصف ٢٨٠ مخطوطاً منها ١٥٨ مخطوطاً لمؤلفين مسيحيين، و ١٢٢ مخطوطاً لمؤلفين علمانيين. لكننا لا نجد من بين الفلاسفة إلا اثنين هما انسيداموس Anesidemos والفيلسوف الأفلاطوني المحدث هيروكلس Hierokles ، ذلك لأن فوتيوس لم يهتم بالفلسفة وإن كان قد شدا منها

(1) Diogène Laërce: Vies des Philosophes.

(2) Clément d'Alexandrie: Stromata.

شيئاً قليلاً. لهذا نحن نستبعد أن يكون حنين بن إسحق قد عرف «مكتبة» فوتيوس، وإن كان من المحتمل أن يكون قد سمع باسم مؤلفها، وهو يتجول في بلاد الروم.

[٧]

مجاميع الأمثال البيزنطية

هذا وقد بحثنا في بعض مجاميع الأمثال البيزنطية، لكننا لم نعر فيها على شيء من الأقوال الواردة في كتاب حنين:

- أ — ومن ذلك مجموع الأمثال (٧٠ مثلاً) الذي نشره كارل كرومباخر^(١) بحسب مخطوط باريس اليوناني رقم ١٤٠٩ ، ورقة ١٣٥ ب — ١٣٦ ب .
- ب — وبمجموع بلانوديس Plannudes ، ويوجد في مخطوط في الفاتيكان، ويشتمل على ٢٧٥ مثل (= لورنتيانوس Laurentianus ٥٩ : ٣٠).

[٨]

من نقلوا عن كتاب حنين

وقد نقل عن كتاب «آداب الفلاسفة» لحنين بن إسحق عدد كبير من

(1) Eine Sammlung byzantinischer Sprichwörter, herausgegeben und erläutert von Karl Krumbacher. Separat-Abdruck a.d. Sitzungs - berichte d. Philos. Philol. und hist. Classe d. kön. bayer. Akad. d. Wiss. 1887, B. 11, Heft I. München, 1887.

وراجع من كتب الأمثال عند البيزنطيين كتاب كرومباخر: «تاريخ الأدب البيزنطي» (ط ٢ ص ٩٠٣ — ٩٠٩)، منشئ، سنة ١٨٩٧ .

المؤلفين العرب التاليين، نذكر منهم:

- ١ — مسكويه: «الحكمة الخالدة: جاويدان خرد».
- ٢ — ابن هندو: «الحكم اليونانية».
- ٣ — المبشر بن فاتك في كتابه «مختار الحكم» (نشرنا في مدريد سنة ١٩٥٨ ؛ ط ٢ سنة ١٩٨١ في بيروت)، وقد صنفه في سنة ٤٤٥ هـ .
- ٤ — المسعودي (٩٥٦م) في «مروج الذهب»، وقد أشرنا إلى ذلك في الهوامش.
- ٥ — الشهرستاني (١٠٨٦م — ١١٥٣م) في كتابه «الملل والنحل».
- ٦ — ابن أبي أصيبعة في «عيون الأنباء في طبقات الأطباء» وقد أشرنا إلى مواضعه في هوامش نشرتنا لـ «مختار الحكم».
- ٧ — سليمان بن جبيرول في كتابه «مُبْحَر هَايِنِيم» (= «مختار الدرر») وقد ولد ابن جبيرول في مالقة حوالي سنة ١٠٢١ ، وتوفي في بلنسية حوالي سنة ١٠٥٨ ، وكتب بالعربية والعبرية. أما من المؤلفين غير العرب، فنذكر:
- ٨ — بطرس الفونس Petrus Alfonsi في كتابه *Disciplina Clericalis*.
- ٩ — خايمة الفاتح D. Jaime في كتابه: «كتاب الحكمة» *Libro de la Savesa*.
- ١٠ — يهوذا Jafuda اليهودي الذي صنف، بأمر من دون خايمة Jaime كتاباً في أمثال الحكماء.
- ١١ — دون خوان مانويل D. Juan Manuel في كتابه «الكونت لوكانور» *Lucanor*.

وتم تشابه بين ما كتبه الفارابي عن فرق الفلسفة وما ذكره حنين في بداية كتابه. لكن يبدو أن الفارابي استقى من مصدر آخر غير حنين، لوجود اختلافات ظاهرة بين كلام كليهما، اختلافات تؤذن بأن الفارابي لم ينقل عن حنين.

والملاحظ بوجه عام أن المؤلفين العرب الذين نقلوا عن حنين وأوردنا أسماءهم من ١ — إلى ٧ لم يذكروا أنهم نقلوا عن كتاب حنين، وتلك كانت عادة شائعة لدى الناقلين عن غيرهم. ويزول العجب من هذا الصنيع حين نذكر أن خلفاءهم المعاصرين اليوم لا تزال غالبيتهم يصنعون هذا الصنيع!

[٩]

مخطوط غير مباشر: «نوادير فلسفية»

وتم مجموع برقم ١٦٠٨ في مكتبته كوبرلي باستانبول يشتمل على «نوادير فلسفية ترجمها إسحق بن حنين، مما جمعه حنين من ألفاظ الفلاسفة». وترد هذه النوادر الفلسفية مشتتة في هذا المخطوط: من ورقة ١ب إلى ٦٥ب ، وفي مواضع أخرى متباعدة. والمخطوط يقع في ١٩٤ ورقة، وفي الصفحة ٢١ سطرًا، بخط نسخي جميل، فيه بعض الضبط، أعني الشكل.

وفي القسم الذي ينقل عن حنين يرد «أقوال سولون الحكيم»، «ألفاظ سقراط» «آداب أفلاطون»، «آداب أرسطوطاليس»، «رسائل الإسكندر»، «وصايا فيثاغورس»، «حكم ديوجانس»، أقوال الفلاسفة أمام ثابت الإسكندر. وبالجملة يكاد يحتوي على ما يحتوي عليه كتاب «آداب الفلاسفة» الذي ننشره هنا.

وقد درس هذا المخطوط يرج كرايمر^(١) في مقال له طويل بعنوان: «أبيات شعر لهوميروس في اللغة العربية»، وأشار إلى ما ورد فيه من قول لمسيود مأخوذ من كتاب «الأعمال والأيام» (البيت رقم ٢٨٩ وما يليه)، وقول ليوريفيدس يشبه شذرة ليوريفيدس (الشذرة رقم ٤٤٩ في نشرة نوك Nauck. بيد أن كتاب «آداب الفلاسفة» لا يحتوي على هذين القولين، ولهذا لا علاقة لهما بكتابنا هذا. وبالجملة، فإن مقال يرج كرايمر لا يتصل بموضوعنا هنا، اللهم إلا في الإشارة إلى مخطوط كوبريلي المذكور.

كما سبقه أنطون اسبيتالر^(٢) A. Spitaler إلى الاستعانة بهذا المخطوط في نشر كتاب الإسكندر إلى أمه يعزيها عن موته وينهاها عن الجزع ويأمرها بالصبر عنه. إذ نشر هذه الرسالة بحسب ثلاث روايات استناداً إلى: مخطوط الأسكورريال رقم ٧٦٠، ومخطوط منشئ رقم ٦٥١، ومخطوط باريس رقم ٣٩٥٣، ومخطوط كوبريلي رقم ١٦٠٨.

[١٠]

الدراسات حول كتاب «آداب الفلاسفة»

أشرنا من قبل إلى ترجمة هذا الكتاب إلى الأسبانية والعبرية. أما ترجمته الأسبانية فقد نشرت في سنة ١٨٧٩، وترجمته العبرية ثلاث مرات، الأولى في ريفا

(١) Jörg Kraemer: «Arabische Homervese», in ZDMG, B. 106 (1956), S. 293-302. Wiesbaden, 1956.

(٢) A.Spitaler: «Die arabische Fassung des Trostariefs Alexanders an seine Mutter», in Studi Orientalistici in onore di Giorgio Levi della Vida, vol. II, pp. 493-508. Roma, 1956.

دي ترنتو سنة ١٥٦٢ — ٦٤ ، والثانية في Lunéville سنة ١٨٠٤ —
١٨٠٥ ، والثالثة في سنة ١٨٩٦ في فرانكفورت على نهر الماين، وترجمته الألمانية
عن العبرية في سنة ١٨٩٦ .

كما حظي بدراسات عديدة منذ أكثر من قرن، نذكر منها:

1. A. Müller, in DMG, Bd. 31.
2. M. Steinschneider, in Jahrb. Für romanische und engl. Literatur, Bd. XII, S. 356 s99.
3. Hermann Knust: Mittheilungen aus dem Eskurial. Tübingen, 1879, S. 519-537.
4. A. Loewenthal: Sinnsprüche der Philosophen. Berlin 1896.
5. K. Merkle: Die Sittensprüche der Philosophen, Kitâb Adâb al-falâsifa, von Honein ibn Ishâq in der Vebearbeitung des Muhammad ibn Ali al-Ansârî. Dissertation, München, 1910. Leipzig, 1921.

وهو رسالة لنيل الدكتوراه الأولى من جامعة منشن (ميونيخ) سنة ١٩١٠ ،
وهي دراسة لا تزال لها بعض القيمة حتى اليوم، على الرغم من أن مؤلفها لم يحل
أية مشكلة من المشاكل التي أثارها هنا، بل لم يخط خطوة واحدة في الطريق إلى
حلّها. بل لقد لاحظنا وقوعه في أخطاء وافتراضات لا أساس لها، مثل افتراضه أن
مخطوط باريس رقم ٣٩٥٣ عربي، الذي نشرناه في كتابنا: «رسائل فلسفية
للكندي والفارابي وابن باجة وابن عدي» (ط ١ بنغازي، سنة ١٩٧٣ ، ط ٢ بيروت
سنة ١٩٨٠) — وهو مخطوط لا يذكر اسم المؤلف — إنما يستند إلى كتاب
آداب الفلاسفة (ص ١٦ من رسالة مركله)، مع أن النصوص المشتركة بين كليهما

قليلة جداً! كذلك افترضه (ص ٩) أن كتاب الإسكندر إلى أمه يعزيها عن قرب موته هو ليس من أصل كتاب حنين، وإنما أضافه محمد بن علي الأنصاري إلى أصل حنين! فهذا الافتراض ليس عليه أي دليل، ولو تمسنا معه لكان علينا أن نستبعد كل ما يتعلق بموت الإسكندر من كتاب حنين الأصلي، وهو ما لا دليل عليه مطلقاً، ولا يمكن القول به إلا إذا كان لدينا النص الأصلي لـ «آداب (أو نوادر) الفلاسفة» لحنين.

وبالجملة فإن دراسة مركله حافلة بالفروض المجانية.

هذا فيما يتصل بالكتاب في مجموعه، ولكن هناك دراسات تناول بعض مواضيع منه خصوصاً الأبواب الخاصة بالإسكندر الأكبر. ونذكر منها:

6. J. Zacher: Pseudocallisthenes. Forschungen zur Kritik und Geschichte der ältesten Aufzeichnungen der Alexandersage. Halle, 1867.
7. B. Meissner, in ZDMG, B. 49 (1895).
8. M.E.Stern: Zur Alexander-Sage. Wien, 1861.
9. R. Merkelbach: Quellen des griechischen Alexander — romans. Hefr 9, der ZETEMATA. München, 1954.
- وهي كلها تتعلق بالفصول الخاصة بالإسكندر، وأخيراً نذكر مقالاً بقلم:
10. Gotthard Strohmaier, in Hermes, 1967, S. 254-6.

فيه يبين أن النقش الذي عثر عليه في هركولانم والذي نشره:

A. Maiuri: Ercolano, I, nuovi seavi 1927-28, Roma, 1958, P. 435.

هو بعينه القول الوارد في «آداب الفلاسفة» منسوباً إلى ذيوجانوس ونصه: «ورأى (أي ذيوجانوس) امرأة قد حملها مَدّ، فقال: الشرّ بالشرّ يهلك».

[١١]

نشرتنا هذه

وها نحن أولاً ننشر النص العربي لكتاب «آداب الفلاسفة» لحنين بن إسحق لأول مرة، وفقاً للمخطوطات الثلاثة التي أتينا على وصفها من قبل. وزودنا النشرة بإحالات إلى الكتب التي نقلت عنه، وتُحيل القارئ في الوقت نفسه إلى تعليقاتنا على تحقيقنا لكتاب «مختار الحكم ومحاسن الكلم» للمبشر بن فاتك (ط١ مدريد سنة ١٩٥٨ ، ط٢ بيروت سنة ١٩٨٠) فتعليقاتنا على كلا الكتابين يكمل بعضها بعضاً.

وتحقيق هذا الكتاب ونشره لأول مرة هما إسهام بالغ الأهمية سواء بالنسبة إلى تاريخ الفلسفة اليونانية وتاريخ الفلسفة عند المسلمين.

باريس سنة ١٩٨٥

عبدالرحمن بدوي

حُنين بن إسحاق

آداب الفلاسفة

اختصاره

محمد بن عيسى بن إبراهيم بن

أحمد بن محمد الأنصاري

المخطوطات

ص: المخطوط رقم ٧٦٠ في الإسكوريال.

م: المخطوط رقم ٦٥١ عربي في ميونخ

وعنوانه: «آداب الفلاسفة المذكورين بالحكمة»

ط: مخطوط كتابخانه مركزي بجامعة طهران رقم ٢١٠٣

تمهيد

[٢ب] /بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على محمد

فرق الفلاسفة

قال أبو زيد < حنين بن > إسحق:

هذه نوادر ألفاظ الفلاسفة الحكماء، وآداب المعلمين القدماء، الذين أصَلُّوا الحكمة وفرَّعوها، وأذاعوها في عالمهم وشرعوها، حتى عُرِفَتْ بهم، ونُقِلَتْ عنهم. وهم أساطينها ودعائمه، وقوامها ونظامها وتماها.

وتفرَّقوا في الفلسفة، واختلفوا في أحوال المعرفة فِرَقًا: اشتَقَّ لكل فرقة منها اسمٌ مفهوميٌّ، ومعنى معلوم: من اسم القابل للفلسفة والمعتقد لها.

واشتقاق ذلك الاسم: إمَّا من الأشياء الباطنة من أمره، وإما من الأشياء الظاهرة من أمره. فأما الباطنة: فمن رأي المعتقد، أو من خلقه، أو من أفعاله. والرأي: إما أن يكون في علمها، وإما أن يكون في الغرض المقصود إليه في علمها. أما في علمها: فرأي المتمنعين^(١)، وهم شيعة فورون^(٢) وسجسطس^(٣). وإنما سُمُّوا بهذا الاسم لأنهم تمنَّعوا^(٤) بالحكمة و < ما > عرفوها بشيء من الأشياء.

-
- (١) ص: المتمنعين (بالتاء). والمتنعون (بالتون) هم الشكاك الذين يمتنعون من إبداء الرأي ويشكون في قدرة الإنسان على المعرفة: Les sceptiques.
- (٢) ص: فوروق. فورون Pyrrhon (حوالي ٣٦٥ — حوالي ٢٧٥ ق.م) وهو مؤسس مدرسة الشك في اليونان.
- (٢) = Sextus وهو سكستوس امپيريكوس (١٨٠ — ٢٢٠ بعد الميلاد)، وهو مصدرنا الرئيسي عن الشكاك اليونانيين. وفي الهامش: خ: سقطس.
- (٤) ص: تمتعوا (بالتاء).

وأما في الغرض المقصود إليه في العلم والحكمة: فرأى أصحاب اللذة، وهم شيعة أفيقورش^(١). وإنما سمّوا بهذا الاسم لأنهم يزعمون أن الغرض المقصود إليه في علم/الفلسفة اللذة التابعة لها. [٣]

وأما الاسم المشتق لها من أخلاق المعتقد لها: فالذين يعرفون بـ «الكلاب»، وهم شيعة ذيجانيس^(٢). وإنما سمّوا بهذا الاسم لاستخفافهم بالأمور الجمالية^(٣) المتفق عليها، ولأنهم يحبّون أقاربهم وأهاليهم، ويبغضون من كان غريباً عنهم. وإنما يوجد هذا الخلق في الكلاب.

فأما الأفعال المستعملة لها فالذين يسمّون «المشائين»، وهم شيعة أفلاطن. وإنما سمّوا بهذا الاسم لأن أفلاطن كان يعلم الفلسفة وهو يمشي، كيما يروض مع النفس البدن. إلا أنهم بعد موته اختلفوا:

— فبعضهم لحق بكسا نوقيراطيس^(٤) وسيسيفس^(٥)، وسمّوا المشائين

(١) ص: افيفورش Epicurus (حوالي ٣٤١ — ٢٧٠ ق.م)، أبيقور، مؤسس الأبيقورية.

(٢) Diogenes = مؤسس المدرسة الكلبيّة، ولد في سينوب سنة ٤١٣ ، وتوفي في سنة ٣٢٣ تقريباً قبل الميلاد.

(٣) «الجميلة» في الصلب وعليها كلمة: «صح». وفي الهامش: الجمليّة، وعليها كلمة: صح خ. والجمليّة العامة، أي القوانين العامة، أو ما تواضع عليه الناس. لهذا آثرنا هذه القراءة، لأنها تدل على مذهبهم الحقيقي.

(٤) ص: بكميفوقراطيس — وفي الهامش: بكميفوقراطيس. والمقصود Xenocrates (ولد في خلقدونية سنة ٣٩٦ — وتوفي في أثينا سنة ٣١٤ ق.م). وكان تلميذاً لأفلاطون، وبعد وفاة هذا اختلف مع اسبوسيبوس الذي رأس الأكاديمية بعد موت أفلاطون. ولما توفي اسبوسيبوس عاد ورأس الأكاديمية سنة ٣٣٩ ق.م حتى وفاته سنة ٣١٤ ق.م.

(٥) ص: جردسيفش وهو Speusippus، (حوالي سنة ٣٩٣ ق.م — ٣٣٩ ق.م).

من أهل أقاداميا^(١)، وهذا < هو > الموضع الذي كان يعلمهم فيه. غير أن الفعل^(٢) بطل عنهم أخيراً، وبقي عليهم اسم الموضع، وهم الأقاديميون^(٣).

— وبعضهم لحق بأرسطاطاليس، وسَمَوْا «المشائيين» من أهل اللوقيون^(٤) وذلك أن أرسطاطاليس كان يعلمهم بـ «لوقيون»، وهؤلاء بطل عنهم أخيراً اسم الموضع، وبقي اسم الفعل.

فهذه الأسماء التي سُمِّيت بها الفرق في الفلسفة من الأشياء الباطنة ومن الأمور المعتقد لها/الكائنة فيها.

[٣ب]

وأما من الأشياء الظاهرة من أمره:

— فمنها ما سُمِّي باسم الرجل المعتقد لها^(٥)؛

— ومنها ما سُمِّي باسم بلده،

— ومنها ما سُمِّي باسم الموضع الذي تُتعلَّم فيه.

أما من سُمِّي باسم الرجل المعتقد لها^(٦) فشيعة فوثاغورث.

وأما من سُمِّي باسم بلده فالفلسفة المعروفة بقورينا، يعني من اسم أرسطنفوس الذي من أهل قورينا^(٧).

(١) ص: لأقدمونيا (أ) — والمقصود Academia وهي حديقة أقادموس التي كان فيها مدرسة أفلاطون.

(٢) أي: المثني، أي زال عنهم اسم «المشائيين» وأصبحوا يسمون: الأقاديمين، أو أهل أقاداميا. راجع مثل هذا الكلام في «صوان الحكمة» ص ١٣٧.

(٣) ص: اللاقيوميون.. وفي «صوان الحكمة» (ص ١٣٧ من نشرتنا): القازاميين.

(٤) Lycée, LUR، وكان مراهنأ (جمنازيدم) خارج أسوار أثينا بالقرب من معبد أبولون، وكان فيه أروقة، وهناك كان أرسطوطاليس يعلم تلاميذه.

(٥) ص: فمنها ما سمي الرجل باسم المعتقد لها، وفيه تقديم وتأخير.

(٦) ص: باسم موضعه فشيعة.

(٧) ص: قورينا نيقوس. وقورينا ؟؟؟ هي المعروفة اليوم باسم «شحات»، وهي بلدة في إقليم برقة بليبيا، راجع كتابنا: «القورينائيون: أو فلسفة اللذة» (بنغازي سنة ١٩٦٩).

وأما مَنْ سُمِّيَ باسم الموضع الذي كان يُعَلِّمُ به: فالذين يعرفون به «أصحاب المظلة والرواق» الذي بمدينة إيليه. وكانت المظلة من خيوش^(١) على أربعة أعمدة، لها جوانب تكفهم من الشمس والمطر. وإنما عملت الخيم والغارات والسرادات تشبيهاً بالمظلة. والعرب تسميها: الظِّل. ثم تشبهت فلاسفة اليهود^(٢) بهم، فاتخذت المظلة من أغصان الشجر وقضبان الكروم. فكان حكماءهم يجتمعون إليها في كل عام كاجتماعهم في العيد. فيقيمون أسبوعاً في مذاكرتهم ومناظرتهم. وبقي رَسْمُها في اليهود جارياً إلى آخر الأبد، وزينوها بأنواع الفواكه. [أ٤] ويتذاكر علماءهم ما وعوه من العلم، ويتدارسون كتب أوائلهم الموضوعة/لهم. ومعنى تعليقهم الفواكه فيها أن تلك الحكيم الأول مقامها مقام الفواكه التي ترتاح لها النفوس وتودّها القلوب.

وكذلك أصحاب الأروقة اتخذوا أروقة كانوا يجتمعون فيها، محكمة البناء، فيتذاكرون علومهم ويتدارسون فلسفتهم، وهم يترددون في الأروقة ذهاباً ورجوعاً. وإنما كانوا يترددون لتحتد أذهانهم وتهيج الحرارة الغريزية المركبة فيهم، فتحتد الحواس الثلاثة: النفس مع البدن مع العقل، بتلك الحركة. ولذلك اتخذت اليهود والنصارى الأروقة في الكنائس واجتمعوا إليها يتدارسون الكتب التي لهم ويعلمون الصبيان الألحان والقراءة بها، ويتحركون قياماً وقعوداً إثارة للحرارة فيهم. واليهود تستعمل ذلك إلى اليوم. وأصل ألحان اليهود والنصارى: الموسيقى، فإنهم منها اتخذوا الألحان. وكان داود — عليه السلام ! — إذا قرأ «الزبور» يُلحِّنُ صوته؛ وكان حسن الصوت،

(١) جمع: خيش Canevas (شفاص باللهجة العامية).

(٢) هذه ملاحظة غريبة! أعني الربط بين «عيد المظال»، عند اليهود، وبين المظال أو الأروقة التي كان الرواقية يتخذون فيها مدارسهم. و«عيد المظال» عند اليهود إنما يقام تذكراً لخرابهم من مصر ودخولهم في تيه صحراء سيناء. وإبان هذا العيد يسكن اليهود ف الخيام وفي الأكواخ.

فيقال إن الطير كانت تقف تستمع ألحانه من حُسنه. والنصارى إلى اليوم تُلحّن «الزبور» بألحان داود. وابتنت اليهود والنصارى بيوت الهياكل، وجعلت بين أيديها الأساطين لذلك/وكذلك المسلمون ابتنوا الأساطين والأروقة في المساجد ليعلّم [٤ب] المعلمون فيها القرآن للصبيان، وقرءوا بالتطريب والألحان لتروق الأسماع وتشغل الأفكار وترتاح إليها النفوس. وكل ذلك فمن الموسيقى أُخذ، وعليه يدور، وإليه يَرْجع ويحور. ومنه اتخذت الأغاني والنغم وترجيعات الألحان.

وإنما جعلت النصارى صدور الهيكل دَرَجاً فوق دَرَج، وفي صدر الهيكل مجلس العالم الرباني الكبير الروحاني؛ وفي أعالي الدَّرَج الفلاسفة، وأسفل منهم التلامذة، ومراتبهم في الدَّرَج كمراتبهم في العلم والفلسفة.

ثم اتخذت الملوك للفلاسفة والحكماء بيوت الذهب، فكانوا يجتمعون فيها ويتذاكرون علومهم بأصناف لغاتهم، فحفظها التلامذة في قلوبهم. فإذا عادوا إلى منازلهم دوّنوها بين حفظهم، ودرسوها في بيوتهم.

فقد تبين أن الفلاسفة تَسَمَّتْ بسبعة أشياء: باسم المعلم^(١)، وباسم بلده، وباسم الموضوع الذي يُعلّم فيه، ويتدبره ويرأيه في العلم، وبالحد المقصود إليه في العلم، وبفعال الفيلسوف وبأهله السامية:

— فالمسمّون باسم المعلم: فشيعة فوثاغورث؛

— والمسمّون باسم البلد: فشيعة أرسطفوس^(٢)؛

— والمسمّون باسم الموضوع الذي يُتعلّم فيه: فأصحاب المظلة^(٣)؛

(١) هنا في الهامش: العلم.

(٢) Aristippus : مؤسس المدرسة القورينائية.

(٣) أصحاب المظلة = الرواقيون Stoiciens

— والمسمون بالحدّ المقصود إليه: فالمتمنعون^(١)؛
— والمسمون بأفعال الفيلسوف: فأصحاب اللذة؛
— والمسمون بالهمم السامية: فالمشاؤون عند التعليم وهم أصحاب الأروقة.
وكان تعليم الفلاسفة حفظاً، لا يدور بينهم قلمٌ^(٢).

قال أبو زيد حنين بن إسحق: وقد بلغنا أن أفلاطن الحكيم نظر إلى بعض التلامذة وهو يكتب ما يسمع في صحيفة معه، فأمره أن يحذفها وقال: احفظ بقلبك ما تسمعه أذنك من الحكمة ولا تتكل على كتبها في صحيفة فتعجزك طلباً؛ فكل علم لا يدخل مع صاحبه الحماة فليس بعلم. ومن ذلك قول طماوس لسقراط: لم لا تدعني أدوّن ما أسمع من الحكمة؟ فقال: «ما أوثقك بجلود البهائم الميّتة، وأكثر اتّهامك للخواطر الحيّة! كيف رجوت العلم من موضع الجهل، وتيسّست منه من عنصر العقل! وفي الجملة: هب أن إنساناً لقيك في طريق، فسألك عن شيء من العلم: هل كان يحسن بك أن تحيله على الرجوع إلى منزلك والنظر في كتبك؟ فإن كان لا يحسن، فالزم الحفظ».

[٥٥ب] وكانت مجالس الفلسفة خالية من/الكتابة طلباً للحفظ ولشحن القرائح والأذهان، واتباعاً لسُنن سقراط وأفلاطن وغيرهما من القدماء. وإنّما دُوّنت هذه العلوم في البيت. ولولا تدوين التلامذة ما سمعوه في صحفهم ومصاحفهم، بعد انصرافهم إلى منازلهم، لما وصل إلينا ما فسّرناه من العلم، وترجمناه من الحكمة والفلسفة، ولكانت الحكمة قد دثّرت، والفلسفة قد انقرضت^(٣). كان برحمة الله

(١) ص: المتمنعون (بالتاء). وهم الشكاك.

(٢) أي لا يكتبون تعاليمهم.

(٣) هنا زيادة في الهامش هي: «والعبادة قد وُثرت صح خ»، ونظن أنها مقحمة.

وتوفيقه ما ألهمهم ذلك بالكتاب^(١) بألسنتهم وأقلامهم، ولرغبتهم فيه وابتهاجهم بما تدارسوه من الصحف ليلاً ونهاراً. ثم من الله — عز وجل ! — علينا وعلمنا العربية حتى استخرجنا^(٢) ذلك من اليونانية، والعبرانية، والسريانية، والرومية^(٣) إلى اللسان العربي المبين، فله الحمد على النعمة فيه والامتنان به والتوفيق له، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

قال حنين بن إسحق:

فمما نقلت من الأخبار عن شعراء اليونانيين وحكمائهم، وفلاسفة الروم وعلمائهم — من النوادر والآداب والسياسة — ما أثبتناه في هذا الكتاب من سؤال وجواب وابتداء خطاب من حكمة نافعة وآداب بارعة، ليكون إماماً لمن بعدنا من أهل الفلسفة والنظر، ومُعَلِّماً لمن رغب في تعلم^(٤) الحكمة، وآثر [١٦] الفلسفة والتعلُّق بالعلم بالملكوت الأكبر الروحاني الملكوتي والاتصال به، إذ كان الاتصال به هو الحياة الدائمة والنعم الذي لا يزول، وسُكُنِي الفراديس مع الرِّبَّانين الروحانيين الأحياء الدائمين، جعلنا الله منهم ووفقنا لما وَفَّقَهُم، برحمته وجوده وكرمه.

قال حنين بن إسحق: وجدتُ ما نقلت من مصاحف الأول رفوقاً

(١) بالكتاب = بالكتابة.

(٢) استخرجنا = نقلنا.

(٣) يميز حنين بن إسحق بين اليونانية والرومية، وهو قطعاً لا يقصد بالرومية: اللغة اللاتينية. وها هنا مشكلة أشرنا إليها في تحقيقنا لكتاب «سر الأسرار». على أنه بعد ذلك بقليل يتكلم عن «اليونانيين وحكمائهم وفلاسفة الروم وعلمائهم» وواضح هنا أنه يجعل كليهما شيئاً واحداً: اليونانيين والروم، ويدل على ذلك أسماء من يذكُرهم. ويترجم ليفنتال: الروم بقوله Die Neugriechen أي: اليونانيون المحدثون، أي: البيزنطيون.

(٤) ص: تعليم.

فرفيرية^(١) اللون، وهو اللون الخمري، مكتوبة بذهب وفضة؛ ورقوقاً مكتوبة بذهب، ورقوقاً^(٢) مكتوبة بغيرها من الألوان. وفي أول المصحف صورة الفيلسوف على كرسيه، وصور التلامذة بين يديه.

قال حنين بن إسحق: والروم إلى هذا الوقت تفعل ذلك بمصاحفها ومزاميرها: من كتابة الذهب والفضة في رقوق مصبوغة^(٣) بهذه الألوان مصور في أوائلها صورة الحكيم. وإن كان المصحف يجمع أقوالاً، جعل بين القولين فرق، وصور صورة كل فيلسوف قبل كلامه. وغشيت الكتب بجلود الأدم والكيث^(٤) > المموه < بالذهب والفضة. فهذا لرغبتهم في الحكمة، ومحبتهم لها، وتفضيلهم إياها.

[٦ب] ذكر الفلاسفة

الفلاسفة هم العلماء القدماء، والحكماء الفهماء، الذين من عندهم وردت الفلسفة، وعندهم صدرت المعرفة؛ ولهم الأمثال السائرة، والحكم الغابرة. كلامهم في القلوب مثل نسيم الحياة عند الهبوب، وكالواحة للمكروب. وكلامهم في العقول والخواطر، كالماء البارد في الهواجر، وكأوية المسافر^(٥).

(١) أي بلون: الفرفير Porphyre. والقوق: جمع رق، وهو الجلد المدبوغ يكتب فيه.

(٢) ص: وألوانا، وهو خطأ واضح.

(٣) ص: هذه، ويصح أيضاً.

(٤) الكيمخت: كلمة فارسية تدل على نوع من الجلد. وفي النص: الميم مشكولة بالفتح.

(٥) ورد في «صوان الحكمة» (ص ١٢٤ من نشرتنا) في باب الكلام عن سقراطيس الحكيم: «كان

حنين بن إسحق يقول: سقراطيس أبو الفلاسفة القدماء، وهو حكيم الحكماء. من عنده وردت الفلسفة وعنه صدرت الحكمة. له الأمثال السائرة والفوائد الغامرة. كلامه في القلوب كنسيم الرياح عند الهبوب، وكالراحة للمكروب. وأثره في الخواطر والعقول كآثر الماء في الهواجر».

ولكل واحدٍ منهم من الكلام البين الفاضل، والأدب الكامل ما يقبله مَنْ يسمعه، وينتفع به مَنْ يعيه، ويصلح به أمر الدنيا والآخرة. ما سمعته أذن فمجته، ولا عرفته نفس فأنكرته. وما عسى أن يقول قائل في تقرّظ الحكماء، ووصفهم، وما سُمِعَتْ كلمةٌ من كلامهم أَصَبَتْ وارتاحت النفوس إليها إلا كانت إلى أختها أشدَّ ارتياحاً. فالقلوب مُعلّقة بكلامهم، كتعلق النفوس بالهواء الذي هو قوامها. والعقل يشهد لمعانهم بالبيان.

ولكل واحدٍ منهم حكمةٌ بالغة، على فص خاتمه منقوشة، نحن ذاكروها وذاكروا اجتماعاتهم في بيوت الحكمة التي اتخذت لهم. ثم نتبعها بآداب مَنْ نُقِلَ عنه أدب من الحكماء الفلاسفة باباً باباً، إن شاء الله والقوة لله.

[١٧] / نقوش فصوص خواتيم الفلاسفة

يقال إنه كان على خاتم سقراط: مَنْ غَلَبَ عقله هواه افتضح. وعلى منطقته: مَنْ غَضَّ طرفه، أراح قلبه.

وعلى خاتم < > ^(١): أيها الإنسان! إذا اتقيت ربك، وحذرت الطريق المؤدية إلى الشر، لم تقع فيه.

وعلى خاتم ذيوجانس: لا تُلْمَ القضاء فيما جنيت. وعلى سَيْر منطقته: مَنْ وَدَّكَ لأمرٍ، وَلَّى مع انقضائه.

وعلى خاتم فوثاغورث: شَرُّ لا يدوم خَيْرٌ من خيرٍ لا يدوم.

(١) هنا إحالة إلى نقص لم يظهر منه في الهامش إلّا: «فا»(١) وفي الترجمة العبرية: «وعلى جدار المعبد». وفي الترجمة الإسبانية: «وعلى مسكنه Casa do morava».

وعلى خاتم أفلاطون: تحريك الساكن أسهل من تسكين المتحرك.
وعلى خاتم أرسطوطاليس: المُنْكَر لما لا يعلم أعلم من المقر بما يعلم.
وعلى خاتم أفلاطس^(١): المَحْك والمِرَاء سببان لكشف الغطاء، وقطع
الإخاء.

وعلى خاتم سيلاقس^(٢): لا شيء أشد من ترك الشهوة.
وعلى خاتم أبقراط: المريض الذي يشتهي شيئاً أرجىء عندي من الصحيح
الذي لا يشتهي شيئاً.

وعلى خاتم جالينوس: من كَتَم داءه^(٣) أعياه شفاؤه.
وعلى خاتم فوروخوس^(٤): مَنْ لم يملك عقله، لم يملك غضبه.
وعلى خاتم فرفوريس: مَنْ لَزِم الوفاء/لَزِمه الرضا، وَمَنْ قل وفاؤه، كثر
أعداؤه. [٧ب]

وعلى خاتم فيلاطوس^(٥): صديق كل امرئ عقله، وعدوه جَهْلُه.
وعلى خاتم فرفوريس^(٦): مَنْ صان لسانه، كثر أعوانه.

-
- (١) لا نعرف من هو. ولا يوجد في الترجمة العبية. بل تنسب هذا القول إلى أرسطو.
 - (٢) لا نعرف من هو. وفي الترجمة العبية: فيلافوس.
 - (٣) ص: من كَتَم داه أعياه شفاه.
 - (٤) لا نعرف من هو.
 - (٥) لا نعرف من هو. وفي «صوان الحكمة» (ص ١٠٩) ورد اسم: فيلاطس.
 - (٦) هل هو غير: فرفوريس الوارد ذكره قبل ثلاثة أسطر؟ وأيهما هو Porphyre تلميذ أفلوطين، ومؤلف «إيساغوجي»؟ وقد ورد برسم: «فرفوريس» في «صوان الحكمة» (ص ١٠٩).

وعلى خاتم بطليموس: التجنيّ وافد القطيعة.
 وعلى خاتم أوثيوس^(١): في التجربة والعافية شفاءً وراحة.
 وعلى خاتم بليناس: من أَمَلَكْ لشيءٍ زال عنك بزواله^(٢).
 وعلى خاتم سولون: مؤاخاة المَلُول بقدر حاجته.
 وهاتان اللفظتان مأخوذتان من الأولين.
 وعلى خاتم هرمس: الأجل حصاد الأمل.
 وعلى خاتم مهواريس: مَنْ كَتَمَ سِرَّهُ، كانت الخيرة بيده.
 وعلى خاتم خروسييس: من احتجّت إليه هُنْتُ عليه.
 وعلى خاتم نطوفورس: مَنْ بَهَتَكَ بالزور فكأنما خَدَشَ وجهك.
 وعلى خاتم غوثا غوريوس: مَنْ احتاج إليك، كانت طاعته لك بمقدار حاجته.

وعلى خاتم فيقورس: مودّة المحتاج بقدر حاجته. وهذا هو الأول.
 وعلى خاتم لقمان: السَّتْرُ لما عاينت أحسنُ مِنْ إذاعة ما ظَنَنْتَ.
 وعلى خاتم الإسكندر: أحسن إن أحببت أن يُحَسِّنَ إليك^(٣).

(١) لا نعرف من هو.

(٢) هو المعنى نفسه الوارد في النقش المكتوب على سير منطقة ذيوجانس، فوق.

(٣) في الترجمة العبرية لفصل نقوش الخواتم هذا اختلاف كثير عمّا في النص العربي، خصوصاً في أسماء من تنسب إليهم الخواتم. وقد رأينا الإصرار عن ذكر هذه الخلافات لعدم جدوى ذلك.

[١٨]

اجتماعات الفلاسفة في بيوت الحكمة في الأعياد، وتفاوض الحكمة بينهم

اجتمع أربعة من حكماء الفلاسفة والمعدودين من أساطين الحكمة في بيت الصور المذهبة في يوم عيد من أعياد اليونانية، فحاضوا في فنون الحكمة، وتكلموا في الفلسفة وتذاكروا ما أصْلته لهم الأوائِل من الحكمة. فقال بَعْضُهُم لبعض: إن مجلسنا هذا لا يخفى، واجتماعنا لا ينسى. وقد حضره من يرغب في فوائد الحكمة، ويحبُّ استماع العلم فهلّموا نذكر في اجتماعنا هذا أحرُفاً يذكر بها مشهدنا ويتعلم بعدنا ما يتقل منها عنا، يكون أدباً للأوّل، وعِلماً للآخِر.

فابتدأ أحدهم فقال: بالهمم العلية^(١)، والقرائح الذكية تصل القلوب إلى نسيم هواء العقل الروحاني، وترقى في ملكوت الضياء والقدرة الخفية عن الأبصار المحيطة بالأفكار، وترتعي في رياض الأبواب المصفاة من الأدناس. وبالأفكار يصفو كدر الأخلاق المحيطة بأقطار الهياكل الجسيمة. فعند مفارقة الكدر تعيش الأرواح عيش الأبد الذي لا يصل إليه انحلال ولا اضمحلال. فحينئذ يلحق العنصر/بالعنصر، ويتحد الصفو بالصفو، ويرسب الكدر إلى الكدر، فتعاین القلوب حقائق الغيوب، وتطمئن النفوس إلى ما لحقت به من العالم المعلوم بحسن^(٢) الأفكار وباتساق الأشكال واتفاق الأهواء.

وقال الثاني : كيف تركز القلوب إلى علم الغيوب، وقد حُجب عنها صواب

(١) فوقها: صح. وفي الهامش: صح: العالية.

(٢) في الصلب وفوقها صح. وفي الهامش: بحسّ، وفوقها: صح خ.

المصيب؟! بل كيف يتخلص الصفو من الكدر بغير تهذيب من الفكر؟! وكيف تلحق الأفكار غوامض الأسرار، وهي في حُجب الاغترار؟! تناهت الأهواء إلى معادنها، وقويت الهمم في مواضعها، وعادت الأفكار إلى عناصرها، ورجعت متحركات الفطن إلى مستكناتها، وعاليات الأذهان إلى مظانها وأماكنها، وانحازت الأشكال عن الأشكال بلطف تأثير الهواء فيها، واستكنّت مشرقة على هياكلها من أقطار عناصرها.

وقال الثالث: بصحة قبول شواهد الأسرار تليج الضمائر في بحار الأفكار، فتصل إلى نسيم الهواء الواصل إلى عوارض العقول والأبصار وغواص الألباب والأذهان، فتقبل الهواء الواصل إلى القلوب، وتتواصل إلى اللهاق بمضمرات الغيوب، وتتصل بالملكوت الأعلى/الذي فيه بقاء النفوس في ظلل السحاب [٩٩] المحسوس.

وقال الرابع: كيف الاتحاد بخفيات الأضداد، والعلم بشواهد الآثار المحتجبة عن العقول والأبصار، المشاهدة بخفيات الإضمار، حتى تعلقت الأرواح بالأرواح، وامتزجت الأجناس بالأجناس، وتخلصت في سراج الأفهام، وانحصرت في مخيض العقل، وثابت من كدر العذاب، وتميزت من مواطن الحجاب إلى مجبوحة الألباب! فيا لها نعمة ما أتمها وأعمها وأنهاها وأسلمها!

قال حنين بن إسحق: وكتبت هذه الألفاظ بالذهب، وعُلقت في الهياكل في جموع الشهداء، ودُرِسَتْ على التلاميذ، ونحزنتها الملوكة في خزائن حكمتها.

اجتماع آخر

اجتمع خمسة من الفلاسفة في بيت من بيوت الحكمة، فتذاكروا الفلسفة والآداب والحكمة:

فقال أولهم : الحكمة حياة النفس، وراحة البدن، وزراعة الخير في القلوب، ومثمرة الحظ، وحاصدة الغبطة، وجامعة السرور، لا يخبو
... ..^(١)

وقال الثاني: الحكمة خلّة العقل، وميزان العدل، ولسان الإيمان، وعين البيان، وروضة الأرواح، ومُنزّاح الهموم عن الأنفس، وأمن الخائفين، وأُسّ المستوحشين، ومتجر/الراغبين، وحظ الدنيا والآخرة، وسلامة العاجل والآجل. [٩ب]

قال الثالث: الحكمة نور الأبصار، وروضة الأفكار، ومطيّة الجِلْم، وكفيل النجح، وضمير الخير والرشد، والداعية إلى الصواب، والسفيرة ما بين العقل والقلوب. لا تندرس آثارها، ولا تعفو ربوعها، ولا يهلك امرؤ بعد علمه بها.

قال الرابع: الحكمة فوائد الحكماء، ونتائج العلماء، وينبوع الحياة، ونعيم الأذهان، وراحة القلوب والأبدان، وضياء العيون، ونجاح الأمور، وقطب الأفكار، ومعيار البراهين^(٢) والاعتبار.

قال الخامس: الحكمة صورة العقل، والعقل المدبّر لأحكامها، المؤدي إلى معرفة نتائجها، المبرهن لما يخفيه مضمارها^(٣)، الدالّ على غامض آثارها، السفير بينها وبين القلوب، والمميّز لها من أصناف العلوم، والمخلّص لمتشابهات الأنباء من فادحات الظنون والأهواء.

(١) خمس كلمات في الهامش مضمومة. وفي الترجمة العربية: «لا يخبو ضرؤها ولا يظلم لمعانها».

(٢) في الصلب إحالة إلى نقص ولم يظهر في الهامش إلا كلمة: اعتبار. وهو يتفق مع الترجمة العربية.

(٣) مضمارها: أي : المضمّر منها.

أصل اجتماعات الفلاسفة

قال حنين بن إسحق:

أصل هذه الاجتماعات أنه كانت الملوك من اليونانية وغيرها تُعَلِّم أولادها الحكمة والفلسفة، وتؤدِّبهم بأصناف الآداب، وتتخذ لهم بيوت الذهب المصوّرة وأصناف/الصُّور. وإنما جُعِلَتْ الصور لارتياح القلوب إليها واشتياق النظر إلى [١٠ أ] رؤيتها. فكان الصبيان يلزمون بيوت الصور للتأديب بسبب الصور التي فيها. ولذلك نقشت اليهود هياكلها وصورت النصارى يبيعتها وكنائسها، وزوّق المسلمون مساجدهم، كل ذلك لتراتح النفوس إليها وتشتغل القلوب بها. فإذا حفظ المتعلّم من أولاد الملوك، علماً أو حكمة أو أدباً، صعد على دَرَجٍ إلى مجلس معمول من الرخام المصوّر المنقش في يوم العيد الذي يجتمع فيه أهل المملكة إلى ذلك البيت، بعد انقضاء الصلاة والتبريك، فيتكلم بالحكمة التي حفظها، وينطق بالأدب الذي دعاه على رؤوس الأشهاد في وسطهم، وعليه التاج وحُلل الجواهر. ويُحَيِّي المعلّم ويُكْرِم ويُبْرِ. ويشرف الغلام ويعدّ حكيماً على قدر ذكائه وفهمه، وتعظم الهياكل وتُسْتَر وتُشعل فيها النيران والشَّمْع، وتُبَخَّر بالدُخْن الطيبة. ويتزين الناس بأنواع الزينة. وبقي ذلك إلى اليوم للصائبة، والمجوس، واليهود والنصارى في الهياكل، وللمسلمين منابر في المساجد.

قال حنين بن إسحق:

/وكان أفلاطن المعلم الحكيم في زمن روفسطانيس^(١) الملك، وكان اسم ابنه [١٠ ب] نطافورس. وكان أرسطوطاليس غلاماً يتيماً قد سَمَتْ به هِمَّتُهُ إلى خدمة أفلاطن الحكيم واتخذ روفسطانيس الملك بيتاً للحكمة وفرشه لابنه نطافورس، وأمر أفلاطن

(١) لم يوجد ملك يوناني في عهد أفلاطون بهذا الاسم، والخير كله مصنوع من أجل استخلاص العبارة.

بملازمته وتعليمه. وكان نطافورس غلاماً متخلفاً قليل الفهم بطيء الحفظ. وكان أرسطاطاليس غلاماً ذكياً فيهما حادثاً مُعَبِّراً. فكان أفلاطن يعلم نطافورس الحكمة والآداب، فكان ما يتعلمه اليوم ينساه غداً، ولا يعبّر حرفاً واحداً. وكان أرسطاطاليس يتلقف ما يلقي إلى نطافورس فيتحفظه ويرسخ في صدره ويعي ذلك سرّاً من أفلاطن ويحفظه، وأفلاطن لا يعلم بذلك من سرّ أرسطاطاليس وضميره. حتى إذا كان يوم العيد زُين بيت الذهب وأُلبس نطافورس الحلي والحُلل. وحضر الملك روفسطانيس وأهل المملكة وأفلاطن وتلاميذه. فلما انقضت الصلاة صعد أفلاطن الحكيم ونطافورس إلى مرتبة الشرف ودراسة الحكمة على الأشهاد والملوك. فلم يُؤدّ الغلام نطافورس شيئاً من الحكمة، ولا نطق بحرف واحد من الآداب. فأسقط في يد أفلاطن، واعتذر إلى الناس بأنه لم يمتحن علمه، ولا عرف مقدار فهمه، وأنه كان واثقاً بحكمته وفطنته. ثم/قال: يا معشر التلامذة: [١١]

من فيكم من يضطلع بحفظ شيء من الحكمة ينوب اليوم عن نطافورس؟ فبدر أرسطاطاليس فقال: أنا، أيها الحكيم! فازدراه ولم يأذن له في الكلام، وأعاد القول على تلامذته. فبَدَرهم أرسطاطاليس فقال: أنا، أيها الحكيم، أضطلع بما أَلقيت من الحكمة. فقال له: اِرْقْ! فرق أرسطاطاليس الدرج بغير زينة ولا استعداد في أثوابه الدنيّة المبتذلة، فهَدَرَ كما يهدر الطير، فأثى بأنواع الحكمة والآداب التي ألَّفَها^(١) أفلاطن إلى نطافورس لم يترك منها حرفاً واحداً. فقال أفلاطن: أيها الملك! هذه الحكمة التي لقتها نطافورس، قد وعّاها أرسطاطاليس سرقةً، وحفظها سرّاً، ما غادر منها حرفاً. فما حيلتي في الرزق والحرمان؟! وكان الملك في مثل ذلك اليوم يرشح ابنه للملك ويشرفه ويُعلي مرتبته. فأمر الملك باصطناع أرسطاطاليس ولم

(١) أي: اصعد.

(٢) ص: الذي ألقاه.

يرشح ابنه للملك. وانصرف الجَمْعُ في ذلك اليوم عن استحسان ما أتى به
أرسطوطاليس والعجب من الرزق والحرمان.

< حكمة أرسطوطاليس >

قال حنين بن إسحق:

هذا ما وجدت من حكمة أرسطو في ذلك اليوم:

[١١ب]

لبارينا التقديس والإعظام والجلال والإكرام!

أيها الأشهاد! العلم موهبة الباري، والحكمة عطية من يعطي ويمنع، ويخط
ويرفع. التفاضل في الدنيا والتفاخر هما الحكمة التي هي روح الحياة ومادة العقل
الرباني العلوي. وأنا أرسطوطاليس بن فيلونيس^(١) اليتيم، خادم الملك نطافورس بن
الملك العظيم: حفظتُ ووعيتُ، والتسبيح والتقديس لمعلم الصواب ومسبب
الأسباب.

أيها الأشهاد! بالعقول تفاضل الناس، لا بالأصول. ووعيتُ عن أفلاطن
الحكيم: الحكمة رأس العلوم، والآداب تلقيح الأفهام ونتائج الأذهان.

بالفكر الثاقب يُدرَك الرأي العازب، وبالتأني تُدرَك المطالب. وبلين الكلمة
تدوم المودة في الصدور. ويخفّض الجناح تتم الأمور. وبسعة الأخلاق يطيب العيش
ويكمل السرور. ومحسن الصمت جلالة الهيئة. وبإصابة المنطق يعظم القدر ويرتقي
الشرف. بالإنصاف يجب التواصل. بالتواضع تكثر المحبة. بالعفاف تزكو
الأعمال. بالإفضال يكون السؤدد. وبالعدل يُقهر العدو.

(١) اسم والد أرسطوطاليس هو نيقوماخوس Nicomachos، واسم أمه Phestias.

بالحلم يكثر الأنصار. بالرفق تستخدم القلوب. بالإيثار يستوجب اسم
 [١٢أ] الجود. /بالإنعام يستحق اسم الكرم. بالوفاء يدوم الإخاء. بالصدق يتم الفضل.
 بحسن الاعتبار تضرب الأمثال. الأيام تفيد الأحكام. يستوجب الزيادة مَنْ عرف
 نقص الدنيا. من التبعات تتولد الآفات. بالعافية يوجد طيب الطعام والشراب.
 بحلول المكارِه يتنقص العيش ويتكدر. النَّعم بالْمَن تُكفر. بالجحد للإنعام يجب
 الحرمان. ضيق الملول زائل عنه. المَلَل من كواذب الأخلاق ولا فعل للمل. السَّيِّء الخلق مُخاطر بصاحبه. الضيق الباع حسير النظر. البخل ذليل وإن كان
 غنياً، والجواد عزيز وإن كان مُقِلًّا. الطمع الفقر الحاضر. اليأس الغنى الظاهر.
 «لا أدري»: نصف العِلْم. السرعة في الجواب توجب العِثار. التروِّي في الأمور
 يبعث على البصائر. الرياضة تشحذ القريحة. الأدب يغني عن الحب. التقوى
 شعار العالم. الرياء لبوس الجاهل. مقاساة الأحق عذاب الروح. الاستهتار^(١)
 بالنساء حِلْسُ^(٢) النوكي. الاشتغال بالفائت تضييع للأوقات. المتعرِّض للبلاء
 مخاطر بنفسه. التمني سبب الحسرة. الصبر تأييد العزم، وثمرة الفرج وتحقيق المحنة.
 [١٢ب] صديق الجاهل مغرور، والمخاطر خائب. /مَنْ عَرَف نفسه لم يضع بين الناس. من
 زاد علمه على عقله كان وبالاً عليه. المجرب أحكم من الطبيب. إذا فاتك الأدب
 فالزم الصمت. مَنْ لم ينفعه العلم^(٣) لم يأمن ضرر الجهل. من اتَّاد لم يندم. من
 اقتحم ارتطم. مَنْ عمل تورط. من تفكَّر سَلِم. من رَوَّى غَنِم. من سأل عِلِم. مَنْ
 حمل ما لا يطيق ارتبك. التجارب ليس لها غاية، والعاقل منها في زيادة. للعادة
 على كل شيء سلطان، وكل شيء يُستطاع نقله إلَّا الطباع، وكل شيء تهبأ فيه

(١) الاستهتار: الشغف الشديد.

(٢) حِلْس: ملازم، أمر ملازم. النوكي: الحمقى.

(٣) في الصلب: الحلم، وما أثبتناه تصحيح في الهامش.

حيلة إلا القضاء. مَنْ عُرِفَ بالحكمة لحظته العيون بالوقار.

قد يكتفى من حظ البلاغة بالإيجاز. لا يؤتى الناطق من سوء فهم السامع. مَنْ وَجَدَ برد اليقين أغناه عن المنازعة في السؤال، وَمَنْ عَدِمَ دَرَكَ ذلك كان مغموراً بالجهل ومفتوناً بعُجْبِ الرأي، ومعدولاً بالهوى عن باب الثبّت، ومصروفاً بسوء العادة عن تفضيل التعليم.

الجزع عند مصائب الإخوان أحمد من الصبر، وصبر^(١) المرء على مصيبته أحمد من جَزَعِه. ليس شيء أقرب إلى تغيير النعم من الإقامة على الظلم. من طلب خدمة السلطان بغير أدب خرج من السلامة إلى العطب. الارتقاء إلى/السؤدد [١٣] صعبٌ، والانحطاط إلى الدناءة سهل.

فهذا الصنف أول ما يعلمه الحكيمُ التلميذَ في أول سنةٍ مع الخطّ اليوناني ثم يرفعه من بعد ذلك إلى النحو والشعر، ثم إلى الحساب، ثم إلى الهندسة، ثم إلى النجوم، ثم إلى الطب، ثم إلى الموسيقى. ثم بعد ذلك يرتقي إلى المنطق ثم إلى الفلسفة، وهي علوم الآثار^(٢) العلوية. فهذه عشرة علومٍ يتعلمها المتعلّم في عشر سنين.

فلما رأى أفلاطن حِفْظَ أرسطاطاليس لما كان يُلقَى إلى نطافورس، وتأديته إيّاه كما ألقاه، سرّه حفظه وطبعه، ورأى الملك قد أمر باصطناعه، اصطنعه هو وأقبل عليه، وعَلَّمَه علماً علماً، حتى وعى العلوم العشرة، وصار فيلسوفاً حكيماً جامعاً لما تقدم نعته.

(١) في الهامش: حمد.

(٢) الآثار: هنا بمعنى: الأمور. وليس المقصود علم الجو والرياح .. إلخ أي الميتورولوجيا.

اجتماع من اجتماعات الفلاسفة

قال: واجتمع أربعة نفر من الفلاسفة — يوناني، وهندي، ورومي، وفارسي — في مجلس لوقانيوس الملك. فسألهم عن البلاغة ما هي:

فقال اليوناني: البلاغة تصحيح الأقسام، واختيار الكلام.

قال الفارسي: البلاغة معرفة الفصل والوصل.

قال الهندي: البلاغة وضوح الدلالة، وانتهاز الفرصة، وحُسن الإشارة.

وقال الرومي: البلاغة حُسن الاختصار عند البداهة/، والهدارة يوم الإطالة. [١٣ب]

ففضل الملك قول اليوناني.

اجتماع آخر

اجتمع سبعة من حكماء اليونانيين في بيت الذهب فقالوا: نريد أن نذكر أشياء من الحكمة تكون لمن بعدنا أدباً ونفعاً:

فقال بعضهم لبعض: اذكروا ذلك.

فقال الأول: أترى أحداً منا أدرك الأمور الغائبة والشاهدة على حقيقة معرفتها، وأصاب البُغية، واستراح إلى الثقة.

قال الثاني: لو تناهت حكمة الباري في حدّ العقول، لكان ذلك تقصيراً لحكمته.

قال الثالث: ينبغي لنا أن نبتدىء بمعرفة أنفسنا من قبل أن ننصرف إلى معرفة غيرنا.

قال الرابع: لقد ساء وقوع مَنْ وقع موقعاً احتاج فيه إلى معرفة نفسه.

قال الخامس: المرء المحتسب لسعادة نفسه لا يقصّر عن ذلك، سيّما إذا

كان المقام في هذه الدنيا من الممتنع، والخروج منها من الواجب.
قال السادس: من أجل ذلك وجب الاتصال بالحكماء المُبْدِين بالعلم
والحكمة.

قال السابع: أنا لا أدري! ولكنني أُخْرِجْتُ إلى هذه الدنيا مضطراً، وعشتُ
فيها حائراً، وأُخْرِجُ منها مُكْرَهاً.

اجتماع آخر

واجتمع عشرة من الفلاسفة في هيكل الرخام في يوم عيد، ومع كل واحدٍ
منهم تلامذته. فلما فرغوا من صلاتهم وقراءتهم/جلسوا في الهيكل على الدرجة، [١٤أ]
والتلاميذ بين أيديهم أسفل. فقال كل واحد منهم لتلميذه: احفظ ما تسمع من
الحكمة، وليكن حِفْظُ أجمعكم حفظَ رجلٍ واحدٍ.

فابتدأ الأول فقال: مَنْ شغل نفسه بغير المهمّ أضُرَّ بالمهمّ.
قال الثاني: لسان الجهل في بعض القول أنطق من لسان الحِلْمِ.
قال الثالث: ما حَفَظَ النعمةَ مثلُ الشكر للمنعِمِ.
قال الرابع: إن لم تكن حكيماً نَطَوَقاً، فكنْ مستمعاً صموتاً.
قال الخامس: من كتم مكنون دأئه عجز طبيبه عن شفائه.
قال السادس: شرّ الدنيا والآخرة في خطبتين: الفقر والعجز، وخيرهما في
الغنى والتّقى.

قال السابع: الصاحبُ السوءُ قطعةٌ من النار.
قال الثامن: الصبر على المكاره مِنْ حُسْنِ اليقين.

قال التاسع: لكل عملٍ كمالٌ ، وكال الدين الورع عن المحارم ومعرفة الباري عز وجل، باليقين به.

قال العاشر: غاية الشرف في الدنيا والآخرة حُسْنُ العقل.

اجتماع آخر

قال: واجتمع ثلاثة عشر حكيماً من حكماء الفلاسفة اليونانيين في سرداب الملوك. وكان في آخر ذلك السرداب كراسي الملوك الموتى من ذهبٍ وعليهم [١٤ب] أصناف الحُلل والتيجان المذهبة^(١) والأطواق/والأساور وكأنهم جلوسٌ على كراسي الملوك بوجوهٍ نضرة طرية. فجلسوا في أول السرداب، فتذكروا لجماعتهم والملوك تجاههم. فقال بعضهم: اذكروا شيئاً من الحكمة تكون أدباً ووعظاً لمن بلغته ووصلت إليه.

فقال أولهم: أجل! إنه لأحسنُ ما ذُكر، وأنفع ما اذُخر. ثم قال: إن في ذهاب الداهيين لعبرةً للقوم الغابرين.

وقال الثاني: ما مات مَنْ ستر أفعالاً من الخير يُقتدى بها، وَمَنْ نشر حكماً يذكر بذكرها.

قال الثالث: مَنْ تعلَّم عِلْم، ومن تفهَّم فِهْم.

قال الرابع: قولُ الحكيم بعض الحكمة أفضلُ من الصمت.

قال الخامس: الصمت خيرٌ من قول الخطل.

قال السادس: لا يُنجي من الموت الحذر، ولا يمنع منه الهرب.

(١) تنجها: من الذهب صغ.

قال السابع: ما أحسن الاقتصاد في الأمور، وأقبح الإسراف منها!
 قال الثامن: قوام المعاش حُسْن التقدير، وملاك الأمور حُسْن التدبير.
 قال التاسع: أبصر أمره مَنْ نظر في العواقب.
 قال العاشر: لا يصلح الرأي إلا بثلاث: دُرْبة في الأمور، وبَصَرٌ بالسياسة،
 وفكر في العواقب.
 قال الحادي عشر: لا تُقَبَّل مشورةٌ إلا من أحد ثلاثة: ناصح مشفق، أو
 دَيِّن خائف، أو مؤمن مؤتمن.
 / قال الثاني عشر: قُلْتُمْ ووعظتم فأجملتم: أساس الأمور العقل، وفروعها [١٥أ]
 التجربة.
 قال الثالث عشر: كفى بالموت واعظاً، وباليقين غنيّاً، وبالحشية علماً،
 وبالفكرة شُغلاً.

اجتماع آخر

اجتمع عند أنو شروان الملك أربعة من حكماء زمانه وفلاسفتهم: فقال
 لهم: ليتكلم كل واحدٍ منكم بكلمة جامعة.
 فقال الأول: أفضلُ علم العلماء الصمتُ.
 وقال الثاني: أرفعُ الأشياء أن يعرف الرجلُ قَدْرَ منزلته، ومبلغُ علمه وعقله.
 وقال الثالث: ليس شيء أنفع للرجل من أن لا يركن إلى حُسْن حاله في
 الدنيا ولا يطمئن إليها.
 وقال الرابع: ليس شيءٌ أروح على البدن من الرضا بالقضاء والثقة
 بالقَسَم.

اجتماع آخر في اللواحق

قال: واجتمع ستة من الفلاسفة المعلمين للحكمة، فتذاكروا اللواحق الخفية، وأن ما لا يدرك بحاسة العيان والاستماع واللمس والأفكار — فالنكول عنه بَيِّن والعجز عن مداه واضح. فتكلموا في ذلك وأكثروا ووقفوا. فقال التلامذة: يا [١٥ب] معلمينا! أوضحوا لنا دلائل ذلك ببيانٍ يقرب من الأفهام وتحيط به الأفكار. / فقال الأول: كيف يدرك الحسُّ غير المحسوس؟ أم كيف يبلغ الفكر ما لا يعرف أَمَدَه ولا الطريقَ إليه؟ حُسِرَتْ الأبصار عن إدراك الغيوب ورجعت الأفكار عن الوصول إلى المعدوم، وانقطعت المعارف دون التناهي.

وقال الثاني: مَنْ عجز عن علم نفسه عجز عن علم غيره. ومن ضاق عن سَعَةِ الفضاء قصر عن بلوغ المدى وعن معرفة الانتهاء.

وقال الثالث: للأشياء الظاهرة حقائق خفية توجب إحكام الصنعة ويلزم القصورُ عن إدراك ذلك بالعقول والأبصار، وإنما يُرتقى إليه وهماً، لا تحقيقاً، ويُعَلَّم به تفكيراً، لا نظراً. وربما وقع الوهم على معدوم، والفكر على غير مفهوم.

وقال الرابع: حقائق الأشياء تظهر عند الوصول إليها وتعلّق الأرواح بها. فإذا تناهت إليها، وقفت عندها واتحدت معها فتألفت ودخلت في جملتها.

وقال الخامس: الوصول إنما يكون بعد مباينة اللطيف للكثيف، ويقين الغائب بالشاهد، واتفاق المعدوم مع الموجود. والاتحاد إنما هو للأرواح لا للأجساد. فإذا تباينا اتصلا، وإذا تفرقا ائتلفا، فلحق اللطيفُ باللطيف، ورجع الكثيف إلى الكثيف.

[١٦أ] قال السادس: / آمالنا متناهيةٌ إلى حدٍّ تَقِفُ عنده، وأفكارنا جائلة في سعة

تحسر عن إدراكها وتعجز عن الإحاطة بها. لَطُفَتْ عن الحسّ بها وكثفت عن
الدخول في غِلْظِها. فالحقول متناهية إليها، والأفكار واقفة دونها، والخواطر^(١) منغلقة
معترفة بالتقصير عنها، شاهدة بحقائقها، ممتنعة عن العلم بكيفيتها.

(١) ص : متعلقة.

آداب الفلاسفة المذكورين بالحكمة والمعرفة آداب سقراط

قال سقراط:

لو سكت من لا يَعْلَم سقط الاختلاف^(١). وكما أنه يستدل بالصواب على الخطأ، فكذلك لا يَعْرِف المنزل الجيد حتى يُنْزَلَ الرديء، ولا يَعْرِف اللين مَنْ لا يعرف الحشن. والمفروح به هو المحزون عليه.

وقال: ستة لا تفارقهم الكآبة: الحقود، والحسود، وحديثُ عهدٍ بغنى، وغنى يخاف الفقر، وطالب رتبة يَقْصُرُ قدره عنها، وجليسٌ لأهل الأدب وليس منهم^(٢).

وقال: مَنْ مَلَكَ سِرُّهُ أخفى على الناس أمره^(٣).

وقال: لسان الصدق خيرٌ للمرء من المال يأكله ويورثه.

وقال: مَنْ أنزل نفسه منزلة العاقل، أنزله الناس منزلة الجاهل.

وقال: مَنْ كان الناس عنده سواءً لم يكن له أصدقاء.

وقال: لا يُكْرَهُ/سَخَطُ من يرضيه الباطل^(٤).

[١٦ب]

وقال: التقرب من الناس مجلبة لقرين السوء. فكُنْ من الناس بين المنقبض

والمسترسل.

(١) ورد في «مختار الحكم» للمبشرين فاتك (ص ٩٤ من نشرتنا).

(٢) ورد في «مختار الحكم» ص ٩٤.

(٣) ورد في «مختار الحكم» ص ٩٤.

(٤) ورد في «مختار الحكم» ص ٩٤.

وقال: خير الأمور أوساطها^(١).

وقال: الغمّ ضغط القلب، والهمّ عصّر القلب.

وقال: الأحزان أسقام القلوب، كما أن الأمراض أسقام الأبدان.

وقال: احْرِصْ على الموت تَوْهَبْ لك الحياة.

وقال: إن لم تُدْرِك الحاجة بالرفق والدوام، فبأيّ شيء تُدْرِك!

وقال: إنما أهل الدنيا كصُور في صحيفة كلما نُشِر بعضها طُوي

بعضها.

وقال: بطن الأرض مَيّت، وظاهرها سقيم.

وقال: الصبرُ يفني كل شيء.

وقال: مَنْ أَسْرَعَ كَثُرَ عِثَارُهُ، والتَّوَدُّة تَوَمَّنَ الْعِثَارَ.

وقال: خيرٌ من الخير مَنْ عَمِلَ بِهِ، وشرٌّ من الشرِّ مَنْ عَمِلَ بِهِ.

وقال: أنا للعاقل المُدَبِّر أَرْجَى مِنِّي لِلأحمق المُقْبِل.

وقال: العقول مواهب، والآداب مكاسب.

وقال: رَبُّ مغْبَطٌ بِمَبْرَةٍ وهي دَاوَةٌ، ومرحومٌ من سَقَمٍ وهو شَفَاؤُهُ.

وقال: مَنْ ابْتُلِيَ فَصَبَرَ، كَمَنْ عَوِيَ فَشَكَرَ.

وقال: إذا لم يكن عقلُ المرءِ أغلب الأشياء عليه، كان هلاكه في أغلب

الأشياء عليه.

/وقال المسيح مَيّت وإن كان في منازل الأحياء، والمحسن حيّ وإن كان في [١٧]

(١) ورد في «مختار الحكم» ص ١٠٠ .

منازل الأموات.

وقال: '': العالم طيب الدين، والمال داء الدين. فإذا رأيت الطبيب يجري الداء إلى نفسه، فكيف يداوي غيره!
وقال: لا تكون كاملاً حتى يأمنك عدوك، فكيف بك إذا كُنتَ لا يأمنك صديقك؟!''

وقال: المال رداء المتكبر، والهوى مركب العاصي.
وقال: مَنْ كَرُمَتْ عليه نفسه، صغرت الدنيا في عينه. وَمَنْ هانت عليه نفسه كَبُرَتْ الدنيا وأهلها في عينه.
وقال: اتَّقُوا مَنْ تَبَغَضَهُ قلوبكم.

وقال: مَنْ لم يعرف الخير من الشرِّ فَالْحَقُّه بالبهائم.
وقال: لا خير في الحياة إِلَّا لأحد رجلين: ناطقي عالم، أو صموت واعٍ.
وقال: عالمٌ مُعَانِدٌ خَيْرٌ من منصف جاهل.
وقال تلميذه: الجاهل لا يكون منصفاً، والعالم لا يكون معانداً. فقال الآخر: بل قد يكون الجاهل منصفاً والعالم معانداً.

وقال: العشق قوة هيأها الباري — عز وجل — ليكون بها الحيوان؛ ولا يقدر على دفع تلك القوة لأنها حافزة له على شهوة الولاد لتبقى صورته في العالم، [١٧ب] إذ ليس في بقاء ما تحت الكون والفساد حيلة. وإنما صار العاشق يعشق/أحسنَ الصور لكي تخرج ثمرته أتم صورة وأحسن ثمرة.
وقال: من عاش على شرايه غير الثقة فقد أعان الدم على قلبٍ جريح.

(١) ورد في «مختار الحكم» ص ٩٤ .

وقال: إنما عُرِفَ الخطأُ بسوءِ عاقبته، فلست بُمُتَّقِيهِ حتى تعرفه، ولا تعرفه حتى تخطيء. فلذلك كان بين الإنسان وبين الصواب خطأ كثير.

وقال: اللسان خادم القلب.

وقال: لا خير فيمن أُعْطِيَ الحكمة فجزع لفقد الذهب والفضة، ولا فيمن أُعْطِيَ السلامة والدعة فجزع لفقد الألم والتعب، لأن ثمرة الحكمة السلامة والدعة، وثمره الذهب والفضة الألم وكثرة التعب.

وقال: ثَقُلُ المسرور عن سروره أهون من نقل المهموم عن همومه والحزين عن حزنه.

وقال: ما بقاء عُمُرٍ تنقصه الساعات، وسلامةُ بدنٍ معرضٍ للآفات! والعَجَبُ ممن يكره الموت وهو في سبيله! ولا أرى أحداً إلا وهو من الموت آيُّ والموت يدركه.

وقال لبعض تلاميذه: يا فلان! هل أصبنا الخير كله إلا من الله؟ قال: نعم. قال: فلم نكره لقاء مَنْ لم تَرَ الخير إلا من عنده؟!

وقال : مَنْ عَرَفَ الدنيا لم يفرح فيها برخاء ولم يحزن فيها على بلاء.

وقال/: اجهد بدنك اليوم لراحتك غداً. [١٨]

وقال: لا تخاطب الحُمقاء، فإنهم لا يستحيون من دناءة، ولا يراقبون مُحَرِّماً.

وقال: الحزن عند المصيبة داعيةُ الهَمِّ، والهَم عَصْرُ القَلْبِ.

وقال: خير الإخوان مَنْ صَرَفَ لإخوانه من الشرِّ إلى الخير؛ وأقوى القوَّة ما

دُفِعَ بها الضرر عن الناس. وأقصد السيرة طيبُ المكسب وتقدير الإنفاق.
وقال: إن فعل الجاهل في خطئه أن يذمَّ غيره، وفعل طالب الأدب أن لا
يذمَّ نفسه ولا غيره.
قال (١):

ورأى سقراط معلماً يعلم جارية الكتابة، فقال: يا معلّم! إنما تسقى
السهم سُمّاً لثُرمي به يوماً ما.
وأراد بعض تلاميذ سقراط سَفَراً — ويقال إنه أفلاطون — فقال له: أوصِ
أيها الحكيم! فقال له: أسيء الظنَّ بمن تعرف. وكُنْ على حذرٍ ممن لا تعرف:
وإياك والوحدة. وكُنْ كأحد أتباعك. وإياك والضعف وسوء الخلق. وإذا نزلت
منزلاً فلا تمشِ حافياً بليل. ولا تُدق نبتةً لا تعرفها. ولا تغتنم محاصر الطرق،
وعليك بجودها (٢) وإن بعدت.

وقال: كل راضٍ غنيٌّ، وكل مطيع مستأنس، وكل عاصٍ مستوحش. وكان
[١٨ب] يقول لتلامذته: استخيروا ولا تتخيروا، فكم من عبدٍ تخيّر لنفسه/أمراً كان هلاكه
فيه.

وقال: حقيقٌ على كل ذي عقلٍ أن يحترس من كل آفة، وأحق الآفات
بذلك أفسدها لخلائق الفضل؛ والتفكر في سوء العاقبة يدل على الظفر بالحكمة.
وما آفةٌ بأضرَّ على خاصة وعامةٍ ولا أذمَّ عاقبةً: من الإسراع إلى تصديق التهمة
والسعاية، ولا سيما من ذي القدرة.

وقال: من يُجربُ يزدَدُ علماً، ومن يؤمِّنُ يزدَدُ يقيناً، ومن يستيقن يعمل

(١) أي حنين بن إسحق.

(٢) الجواد: جمع جادة: الطريق الواسع. والمحاصر: الطرق الضيقة.

جاهداً، ومن يحرص على العمل يزداد قوة، ومن يكسل يزداد فترة ومن يتردد يزداد شكاً.

وقال: لا تستقلن من ذنوبك ما تقدم على دونه^(١)، ولا تستكثر من عملك ما تحتاج إلى أكثر منه.

وكتب سقراط الحكيم إلى ملك زمانه، وقد مات ابنه: أما بعد! فإن الله — تعالى ذكره! — جعل الدنيا دارَ بُلُوٍّ، وجعل الآخرة دارَ عَقْبٍ، وجعل بلوى الدنيا لثواب الآخرة سبباً، وثواب الآخرة من الدنيا عوضاً، فيأخذ ما يأخذ لما يُعطي، ويبتلي إذا ابتلى ليجزىء.

وقال: لا تردن على ذي خطأ خطأه، فإنه يفيد منك علماً وتصبر له عدواً.

وقال: الذنوب الفاضحة تُذهب الحجج الواضحة.

وقال: الحق الفاصل سيفٌ على الباطل.

وقال: إن السبب الذي/أدرك به العاجز حاجته هو الذي أقعد الحازم عن [١٩] طلبته. والأمر الذي يحول بين الرزق وبين العاقل هو الذي يُمنحه الجاهل.

وقال: مَنْ لم يزل الطمُع له راكباً، لم يزل الفقر له صاحباً.

وقال: لا يكون الحكيم حكيماً حتى يغلب جميع شهوات الجسد.

وكان يقول لتلامذته: يا بني! اعقلوا في ستر مَنْ أنتم. فإن كنتم لا تعقلون فاحذروا الدنيا. فإن كنتم لا تحسنون أن تحذروا الدنيا فاجعلوها شكواً وانظروا أين تضعون أرجلكم. واحذروا أكل الشهوات، فإن القلوب المعلقة بشهوات الدنيا عقولها محجوبة عن الله عز وجل.

(١) على دونه: على قلته.

وقال في القلم: إيقاع القلم زمام على إيقاع الوتر، والمهنة المنطقية مقدّمة على المهنة الطليبية.

وقال رجل لسقراط: ما رأيك قط مغموماً. فقال: لأنه ليس لي شيء متى ضاع مني وعرفته اغتممت عليه.

وقال له بعض السوفسطائيين: فإن انكسر الحُبُّ^(١) — وكان له حُبٌّ يكتّنه من الحر والبرد — فقال له: إن انكسر الحُبُّ، لم ينكسر المكان.

وقال له ابن الملك يوماً: إنني بك لمغموم. فقال: ولم؟ قال: لما أراه من [١٩ب] شدة فقرك. فقال سقراط: لو علمت الفقر ما هو لشغلك غمك بنفسك عن غمك بي.

ولما أرادوا قتله، قال له بعض تلامذته: ما تأمرني أن أصنع بجثثك إذا مُت؟ فقال: يُعنى بذلك مَنْ يحتاج إلى تنظيف المكان.

قال: ونظر إليه إنسان، وقد مضوا به ليقتلوه، فقال: يعز عليّ أن يُقتل مظلوماً. فقال: فأردتني أن أُقتل غير مظلوم؟!

وقال^(٢) له الملك: بلغني أنك تقول إن الأوثان لا تنفع ولا تضر. فقال له: أما الملك وشيعته فهي تنفعهم وتضرهم. وأما سقراط فما تنفعه ولا تضره.

ومدحه بعض العوام فبكى. فقال بعض تلامذته: ما يبكيك أيها الفيلسوف وقد مدحك؟ فقال: ما مدحني إلا وقد وافق شيء من أخلاقي شيئاً من أخلاقه، فبكائي من ذلك.

(١) الحب (بضم الحاء): البرميل، الزير. وكان ذيوجانس الكلبي يتخذ من حب منزلاً له. وقد خلطت بعض الروايات بين سقراط وذيوجانس الكلبي.

(٢) ورد برواية موسعة جداً في «مختار الحكم» ص ٩٢.

قال: ونظر إلى رجل من تلامذته وهو ينظر إلى امرأة حسناء، فقال له: لِمَ تنظر إليها؟ فقال: أتأمل حُسْنَ الصنعة. فقال: أَقَلِّبْ ظاهرها وباطنها يتبين لك قبحها.

وقال: مَنْ حَسُنَ خُلُقُهُ طَابَتْ مَعِيشَتُهُ، وَدَامَتْ سَلَامَتُهُ، وَقَلَّتْ عِدَاوَتُهُ. وَحُسْنُ الْخَلْقِ يورث المحبة، ويؤكد المودة. وَحُسْنُ الْخَلْقِ قَائِدٌ إِلَى الْأَعْمَالِ الْحَسَنَةِ، وَسُوءُ الْخَلْقِ قَائِدٌ إِلَى الْأَعْمَالِ/السَّيِّئَةِ. وَمَنْ حَسُنَ خُلُقُهُ تَوَكَّدَتْ مَحَبَّتُهُ [١٢٠] وانقطعت القلوبُ إليه. وَمَنْ سَاءَ خُلُقُهُ دَامَتْ بَغْضَتُهُ وَتَفَرَّتْ النُّفُوسُ مِنْهُ. وَحُسْنُ الْخَلْقِ يَدْعُو إِلَى الْفَضَائِلِ، وَسُوءُ الْخَلْقِ يَدْعُو إِلَى الرِّذَائِلِ. وَمَنْ حَسُنَ خُلُقُهُ كَانَ مَحْبُوبًا، وَمَنْ سَاءَ خُلُقُهُ كَانَ مَمْقُوتًا.

وقال^(١): النساءُ فُخٌّ منصوب، فليس يقع فيه إلَّا مَنْ اغْتَرَّ بِهِ.

وقال: لَا ضَرَرَ أَضُرُّ مِنَ الْجَهْلِ، وَلَا شَرُّ شَرٍّ مِنَ النِّسَاءِ.

وقال، ونظر إلى امرأة سقيمة فقال: الشَّرُّ بِالشَّرِّ يُكْفَى.

ونظر إلى جنازة امرأة والنساء خلفها يُعُولْنَ وَيُولُولْنَ، فقال: الشَّرُّ يَتَوَجَّعُ لِفَقْدِ الشَّرِّ.

ونظر إلى امرأة هَرَمَةٌ مُتَزَيِّنَةٌ فقال: نَارٌ قَلِيَّةٌ الضَّوْءُ، إِلَّا أَنَّهُا تَحْرَقُ مِنْ قَارِبِهَا.

وقال: الْكَيْسُ مَنْ لَمْ يَصْطَلِدْهُ النِّسَاءُ، فَإِنَّهُ إِنْ وَقَعَ قُصَّ جَنَاحَاهُ فَلَمْ يَنْبِتْ لَهُ أَبَدًا.

وقال: مَنْ أَرَادَ أَنْ يَقْوَى عَلَى طَلَبِ الْحِكْمَةِ فَلْيُكْفَ مِنْ تَمْلِكِ النِّسَاءِ عَلَى

نَفْسِهِ.

(١) ورد في «مختار الحكم» ص ١١٤ .

وقال: كتمان السر واجب على العاقل، ومُذيعه لا عقل له.

وقال: مَنْ كتم سرّه بلغ ما يريد من أمره. وكتمان سرّك سبب صيانتك، وكتمان سرّ غيرك واجب عليك.

وقال: المشكور مَنْ كتم سرّاً لم يُسْتَكْتَمه. فأما مَنْ اسْتَكْتَمَ فذلك واجب عليه. [٢٠ب]

وقال: اكْتُم سِرَّكَ وسِرَّ غيرك كما تحب أن يكتم غيرك سِرَّكَ.

وقال: مَنْ كَانَ لسِرّه مديعاً، كان لنفسه خَوْناً. ومن خان في سرّه فهو في غيره أخون. وكتمان السر سبب للمحبة ومُبلغ إلى جليل الرتبة^(١). ومن كتم السرّ كان موضعاً لودائع القلوب. واعلم أن حفظك لسرّك أولى من حفظ غيرك له.

وقال في الزمان لبعض تلامذته: احذر الزمان فإنه أخبث عدوّ تحذر منه. وأنتى لك بالنجاة منه مع الحذر! إن الزمان يسرّ^(٢) العدو في عدوه، ويغمّ الصديق في صديقه. وقال: إن الزمان يُحذّر من نفسه، ويخبر عن سوء غائلته. إن الزمان موكلٌ بتشتيت الجمع، وتكدير الصفو. ما صفا الزمانُ لمن مضى، ولا يصفو لمن بقى. الزمانُ مغتال لا يفطن لحرارته، والطمأنينة إليه جهل بما مضى. والزمان يبين عن قبيح فعله مكشوفاً، والعنوان عند من تأمله فلن يغترّ به إلّا مَنْ جهله. الزمان واعظٌ لمن بقي بمن مضى. حوادث الزمان هلاك قومٍ وغبطة آخرين. والسكون إلى الزمان بعد العلم به نهاية الفجر. والثقة بوعده غاية الغرور، وسوء الظن به نفسُ الحزم. الزمان جديّد لا يبلى، وجادٌّ لا يكلّ، ودائم لا يفنى.

[٢١أ]

(١) في الهامش: المرتبة.

(٢) في الصلب: يدبّل — وما أثبتناه في الهامش.

وقال: من كانت الأيام به مسافرة^(١)، فلا يشكك أن أعضائه بالية، ومهيجته عن الدنيا راحلة.

وقال: كما أباد الزمان من تقدّمك، كذلك يبيدك. وكما خان من قبلك، كذلك يخونك.

وقال لتلميذه: أي بُنيّ! يكفيك من الزمان ما ترى من غيره^(٢) فيك، فضلاً عما تراه في غيرك. كيف ينقلك من حالٍ إلى حالٍ، وينحدر عليك وقتاً بعد وقت. يُفنيك ولا يفنى، ويُبيلك ولا يبلى!

وقال: من حُسّن الخلق ما يمنع من ارتكاب القبائح لأنه لا يشاكلها. وقال: حُسّن الخلق ينجي صاحبه من المهالك، وسوء الخلق يطرح صاحبه في المتالف.

وقال: مَنْ حَسُنَ عقله غُفِرَ ذنبه، وأُقيلت عثرته. وَمَنْ ساءَ خُلُقُه عوقب في حياته ولم يصفح عن زلّته.

قال، ونظر إلى امرأة تتعطر فقال: نازّ يكثر حَطْبُها حتى يشتدّ وهجها فينمي ضوءُها.

وقال^(٣) لتلميذ له: أي بُنيّ! إن كان ولا بد من النساء، فاجعل لقاءك لهنّ كأكل الميتة، لا تأكلها إلّا عند الضرورة فتأخذ منها بقدر ما يقيم الرّمق، وتركها. وإن أخذت أخذت منها فوق الحاجة/أسقمته وقتلته. فكذلك من عاشر النساء في [٢١ب]

(١) في الهامش: سائرة.

(٢) في الهامش: عبر.

(٣) ورد في «مختار الحكم» ص ٩٧ .

وقت الحاجة إلى عشرتهن، سَلِمَ. وَمَنْ عَاشِرَهُنَّ وَهُوَ غَنِيٌّ عَنْهُنَّ نَدِمَ وَلَقِيَ مَا يَكْرَهُ.
وقيل له: ما تقول في النساء؟ فقال: هُنَّ مثل شجرة الدَّفْلِيِّ^(١) لها رونق وزهر وإذا أكل منها الغُرُّ قتلته.

وقيل له في النساء، فقال: ما استُرْعين شيئاً قطّ إلا ضاع، ولا قَدَرْنَ على شيء قط فكففن عنه.

ونظرت^(٢) إليه امرأة فقالت لأخرى معها: ما أقبح خلقه هذا الشيخ! فقال لها: لو لم تكوني من المرايِّ الصَّدِئَةِ، لأبصرتني على حقيقة صورتي.

وقيل لسقراط: ما أثرت فيك الحكمة؟ فقال: كما بدأت أحقر نفسي. ثم قال:

إِنَّمَا الدُّنْيَا وَإِنْ وُثِّقَتْ خَطَرَةٌ مِنْ لَحِظٍ مُلْتَفِتٍ

وقيل (له): ما يحسن أن يتعلم الرجلُ في صِغَرِهِ؟ فقال: ما لا يَسَعُهُ أن يجْهَلَهُ في كِبَرِهِ. ومن ها هنا أخذ القائل: يَحْسِنُ بالمرء أن يتعلم^(٣) ما حَسُنَتْ به الحياة.

وقيل له: ما بالك تعاشر الأحداث؟ فقال: إِنَّمَا أَفْعَلُ ذَلِكَ لِأَنَّ الرِّيَاضَةَ إِنَّمَا تَكُونُ لِلْقِلَا مِنَ الدُّوَابِ الْعَتَاقِ^(٤).

-
- (١) بالفرنسية Laurier rose وبالانكليزية Red oleander : شجرة من نوع البَرَاء لها زهر أحمر أو وردي جميل الشكل ولكنه سامٌ إذا أُكِل. وكلمة «دفلٍ» تعريب للكلمة اليونانية δάφνη (دفنا)، وقد ورد هذا القول في «مختار الحكم» ص ١١٥ .
- (٢) ورد بصورة مقاربة في «مختار الحكم» ص ١٠٩ .
- (٣) في الصلب: التعليم، وما أثبتناه في الهامش.
- (٤) ورد هذا القول برواية مختلفة قليلاً، في «الحكمة الخالدة» (نشرتنا ص ٢١٣). الفلو (يكسر الفاء): المهر الذي قُطِمَ أو بلغ السنة. والجمع: فلا وأفلاء.

وقيل له: ما أَقْرَبُ شيء؟ فقال: الأجل.

وقيل له: ما أبعدُ شيء؟ فقال: الأمل.

[٢٢]

/وقيل له: ما آنس شيء؟ قال: الصاحب المواتي.

وقيل له: فما أوحش شيء؟ قال: الموت.

وسمع سقراط رجلاً يقول: العقل أسيرٌ في يد الجهل " . فقال: لا، ولكن

الجهل طريد العقل.

وقال سقراط : ما أحسب أن النفس عَلِمَتْ كُلَّ ما أوعِدَتْ. فقال بعض

تلاميذه: وَلِمَ يَأْيِها الحكيم؟ قال: لأنها لو علمت لطارت. فلم يُتَنَفَّع بها.

وقيل له: بأي شيء ينال العلم؟ فقال: بأن يكون الرجل مؤيداً صبوراً

عليه، ويكون له الذهن الذي يفهم بمثله، وأن يكون له موقف يفهمه.

(١) في الهامش: الجاهل.

آداب أفلاطن

- قال أفلاطن الحكيم: للعادة على كل شيء سلطان^(١).
- وقال: سوء الخلق يفسد العمل كما يُفسد الصَّبْرُ العسل^(٢).
- وقال: ليس ييسر تيسير العسير.
- وقال: القلب ضياء، والغَمّ ظلمة. فمتى وردت الظلمة على الضياء أظلمته؛ والسرور ضياءً فمتى ورد على الظلمة أضاءها. وإنّما مثل السرور ينحطّ على الغمّ في القلب مثل النهار ينحطّ على الليل.
- وقال: ما معي من فضيلة العلم إلا علمي بأنّي لستُ بعالم.
- وقال: لولا أن في قولي: «لا أعلم» تثبيتاً أنّي أعلم لقلتُ إني لا أعلم.
- وقال: النار/لا يَنْقُصُها ما أُخِذَ منها، لكن يُخَمِّدُها ألا تُجَدَّ حطباً. [٢٢ب]
- وكذلك العلم لا يفنيه الاقتباس، ولكنْ يُعَدُّ الحاملين له سبب عطبه. فإياك والبخل بما تُعلّمه.
- وقال: العقل صفاء النفس، والجهل تكدُّرها.
- وقال: مَنْ تكَلَّفَ ما لا يعنيه، فاته ما يعنيه.
- وقال: الاتكال على القضاء أروح، وقلة الاسترسال إلى الناس أحزم.
- وقال: الموت خداع النفوس.

(١) ورد في «مختار الحكم» ص ١٣١.

(٢) ورد في «مختار الحكم» ص ١٣١.

وقال: الموت موتان: فالفقير: الموت الأكبر.

وقال: إذا هرب الحكيم من الناس فاطلبه. وإذا طلبهم هو فاهرب منه ^(١).

وقال: أمر الدنيا أقصر من أن تطاع فيها الأحقاد.

وقال: إذا أبصرت العين الشهوة، غنى ^(٢) القلب عن الإخبار.

وقال: إذا أعتيك الكلمة فلا تجاوزها إلى غيرها، فإن الكلام إذا كثرت معانيه تقلب اللسان فيه.

وقال: لأن أدع الحق جهلاً به أحب إلي من أن أدعه زهداً فيه. ولئن كان الجهل لا يكون إلّا لنقصان في آلة الخير، فإن المعاندة لمن زيادة في آلة الشر.

ورأى أفلاطن رجلاً يُكثر الكلام ويُقل الاستماع، فقال: يا هذا! أنصِف أذنيك من فيك، فإن الله — جل ثناؤه — /إنما جعل لنا أذنين ولساناً واحداً [٢٣] لنسمع ضعف ما نتكلم ^(٣).

وقال: الموت نحس النفوس، وهي منه تكيص ^(٤) وليس لها عنه محيص.

وقال لتلاميذه: مَنْ شكركم على غير معروفٍ أو برٍّ، فعاجلوه بهما، وإلّا انعكس الشكر فصار ذمّاً.

وقال لتلاميذه: ليس ينبغي للرجل أن يشغل قلبه فيما ذهب منه، لكنه ينبغي أن يُعنى بحفظ ما يبقى عليه.

وقال: مَنْ لم يواسِ الإخوان عند دولته، خذلوه عند فاقته.

(١) ورد في «مختار الحكم» ص ١٣١ .

(٢) في الهامش: عمى.

(٣) ورد في «مختار الحكم» ص ١٣١ .

(٤) تراجع وتهرب.

و"..." على خسيس اصطنعها"، وعاداك عليها.

وقال: اثبت لسفه الحدثان والوارث، فإن استطعت ألا تكون أبخس الشركاء حظاً، فافعل.

وقال: ليس الإحسان أن تحسن إلى مَنْ أحسن إليك، فإنما ذلك مكافأة. وإنما الإحسان أن تحسن إلى من أساء إليك.

وقال: رأس مال الأحمق الخديعة، وفائدته الغضب. ورأس مال العاقل: الصمت، وفائدته الجلم.

وقال لرجل رآه مغموماً بمصيبة أصيب بها: لو أُخطرت ببالك ما فيه الناس من أنواع المصائب، قلَّ غمُّك.

وقال: إذا صحبت حازماً فأرضه بإسقاط حاشيته، وإذا صحبت خرقاً فأسخطه في رضا حاشيته.

وقال: انحلال المملكة بغلبة الأحداث، ومَنْ لا حنكة له عليها.

وقال: شهوات الناس تتحرك بحسب إرادة الملك وشهوته.

وقال: المَلِك السعيد مَنْ تَمَّتْ رئاسته آباءه به، والملك الشقيّ مَنْ انقطعت عنده.

[٢٣ب] وقال: إذا أقبلت المملكة خَدَمَتُ/الشهواتُ العقولَ، وإذا أدبرت خدمت العقولُ الشهوات.

وقال: ما أُعطي أحدٌ شيئاً من الإقبال إلا سلب من حسن الاستعداد أكثر منه.

(١) كلمتان في الهامش غير مقروءتين، وربما كان الناقص هو: إن تصدقت بصدقة. والعبارة غير موجودة في الترجمة العبرية.

(٢) كذا في المخطوط، ولعل صوابها: اضطنعها، أي حقد عليك بسببها.

وقال: لا تَقْصِرُوا أَوْلَادَكُمْ عَلَى آدَابِكُمْ، فَإِنَّهُمْ مَخْلُوقُونَ لَزَمَانٍ غَيْرِ زَمَانِكُمْ.
وقال: لا تَطْلُبْ سُرْعَةَ الْعَمَلِ وَاطْلُبْ جُودَتَهُ، فَإِنَّ النَّاسَ يَقُولُونَ: كَيْفَ جُودَتُهُ؟ وَلَيْسَ يَقُولُونَ: فِي كَمْ عُمَلٍ؟

وقال: مَنْ فَضِيلَةُ الْعِلْمِ أَنْكَ لَا تَقْدِرُ أَنْ يَخْدَمَكَ فِيهِ أَحَدٌ، كَمَا تَجِدُ مَنْ يَخْدَمُكَ فِي سَائِرِ الْأَشْيَاءِ. وَإِنَّمَا تَخْدُمُهُ بِنَفْسِكَ، وَلَا يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ أَنْ يَسْلُبَكَ إِيَّاهُ، كَمَا يَسْلُبُكَ غَيْرُهُ مِنَ الْعَتَادِ.

وقال: إِحْسَانُكَ إِلَى الْعُتْرِ يَحْرِكُهُ عَلَى الْمَكَافَأَةِ، وَإِحْسَانُكَ إِلَى الْوَعْدِ يُحْرِكُهُ عَلَى مَعَاوِدَةِ الْمَسْأَلَةِ.

وقال: إِذَا أَنْكَرْتَ شَيْئاً مِنْ أَحَدٍ فَلَا تَطْرُحْهُ، وَأَجَلُ فِكْرِكَ فِي جَمِيعِ أَخْلَاقِكَ، فَلِكُلِّ شَخْصٍ مُوهَبَةٌ مِنَ اللَّهِ عِزٌّ وَجَلٌّ مِنْهَا.

وقال: الْأَشْرَارُ يَتَّبِعُونَ مَسَاوِيءَ النَّاسِ، وَيَتْرَكُونَ مَحَاسِنَهُمْ كَمَا يُؤْذِي الذَّبَابُ الْمَوَاضِعَ الْفَاسِدَةَ مِنَ الْجَسَدِ، وَيَتْرَكُ الصَّحِيحَ مِنْهُ.

وقال: مِنْ سَعَادَةِ الْمَرْءِ أَلَّا تَتِمَّ لَهُ فَضِيلَةٌ فِي رَذِيلَةٍ.

وقال: الْعَقْلُ يَشِيرُ عَلَى النَّفْسِ بِتَرْكِ الْقَبِيحِ/فَإِنْ لَمْ تَقْبَلْ مِنْهُ لَمْ يَتْرَكْهَا، لِأَنَّهُ [٢٤أ]
لَيْسَ فِيهِ غَضَبٌ، لَكِنَّهُ يُرِيدُهَا أَصْلَحَ وَقْتُ يَنْبَغِي أَنْ يَفْعَلَ ذَلِكَ الشَّيْءَ فِيهِ، وَأَجْمَلَ
جَهَةً يُؤْخَذُ بِهَا، إِلَّا أَنَّهُ يَعْطِي الْحَيَاءَ كَأَنَّمَا وَكِلَ بِهِ.

وقال: التَّائِمُ الْحَرِيَّةِ مَنْ أَحْتَمَلَ جُنَايَاتِ الْمَعْرُوفِ.

وقال: الْفَقْرُ يَمْسِكُ مِنَ الْخُسْفِيسِ بِمَقْدَارِ مَا يَضَعُ مِنَ الرَّفِيعِ.

وقال: إِذَا أَقْبَلَ الرَّئِيسُ اسْتِجَارَ الصَّنَائِعِ، وَإِذَا أَدْبَرَ اسْتِجَارَ الْأَعْدَاءِ.

وقال: إِذَا طَلَبَ الْمُتَنَازِرَانِ الْحَقَّ لَمْ يَقْتَتِلَا، لِأَنَّ نَظَرَهُمَا وَاحِدٌ. وَإِذَا طَلَبَا
الْغَلْبَةَ اقْتَتَلَا؛ لِأَنَّ فِيهِمَا غَلْبَتَيْنِ، وَكُلُّ وَاحِدٍ مِنَ الْخَصْمَيْنِ يَطْلُبُ أَنْ يَجْذِبَ صَاحِبَهُ

إلى الغلبة التي فيه.

وقال: ليس يحتد الرئيس في المناظرة على من يقدر عليه إلا من ضُغِفَ في نفسه، أو استصغارٍ لمناظره. فإن كان من ضُغِفَ فالاستكانة له تغريه به، والتماسك يثنيه عنه.

وقال: إذا مُنعت من شيء طَلَبته، فليكن غيظك على نفسك في المسألة أكثر من غيظك على من مائتلك. ولا تتلقَّ الناس بفرط الحمية في الفاقة، فإنها تنشي عنك القلوب وتبسط طرق الاستقامة.

وقال: لا يحملك الحرصُ على أمورك على التَّمَقُّت إلى الناس والإجابة إليهم [٢٤ب] فُتُعْطِي/من نفسك أكثر مما تأخذ لها. وكل إجابةٍ عن غير رضا فهي مذمومة العاقبة.

وقال: ما أدري ما الهوى، غير أنني أعلم أنه جنونٌ إلهي، لا محمود ولا مذموم.

وقال: إن الصداقة والعداوة تكونان على ثلاثة أضرب: إمّا لاتفاق الأرواح فلا يجد المرءُ بُدّاً من أن يحب صاحبه؛ وإما للمنفعة، وإمّا لحزن أو فرح. فأما اتفاق الأرواح فبابه يكون من كون الشمس والقمر في المولدين في برج واحد، أو يتناظران في تثليث أو تسديس نظر مودة، فإنه إذا كان كذلك كان صاحبا المولدين مطبوعين على مودة كل واحدٍ منهما لصاحبه. وأما اللذان تكون مودتهما لفرح أو حزن، فإنه من أن يكون طالع مولديهما برجاً واحداً، أو يتناظر طالعهما من تثليث أو تسديس. وأما اللذان مودتهما للمنفعة، فإن ذلك من أن يكون سهمًا سعادتهما في مولديهما في برج واحد، أو يتناظر السهمان في تثليث أو تسديس، فإن ذلك يدل على أن المولدين تكون منفعتهما من جهة واحدة، وينتفع أحدهما بصاحبه، فتجلب المنفعة بينهما الصداقة، أو تكون مضرتهما من جهة

واحدة فيتفقان على/الحزن فيتوددان لذلك السبب. ويقوي ذلك كله نظراً السعود [٢٥] في وقت الموالي، ويضعفه نظراً النحوس.

وسأل أفلاطون بعض تلاميذه عن التجارة. فقال له: تتم التجارة بالحرص وكثرة القنوع. قيل: فقد نُهي عن الحرص. فقال: الاكتساب بالاضطراب. وقيل له: بماذا يُعرف الحكيم أنه صار حكيماً؟ فقال: إذا لم يكن بما يصيبه من الرأي معجباً، ولما يأتي من الأمر متكلفاً، ولم يستفزّه عند الدم الغضب، ولا تدخله عند المدح النخوة والكبر.

قيل له: لِمَ تقتني المال، وأنت شيخ؟ قال: إنه لواجب أن يموت الإنسان ويُخلف لأعدائه مالاَ خيراً من أن يحتاج إلى أصدقائه في حياته. وقيل له: بماذا ينتقم الإنسان من عدوه؟ قال: بأن يتزَيّد الإنسان فضلاً في نفسه.

وقال: في الإنسان أربع طبائع: عقل وجهل، وعفة وشهوة. فالعقل يعاتب الجهل، والجهل يقاقل العقل، والعفة تعاتب الشهوة، والشهوة تقاقل العفة. والإنسان مُسلّط على مشيئته: فمن عمل خيراً كوفئ عليه، ومن عمل شراً كوفئ عليه. قال:

وكان أفلاطون/يجلس فيُسْتَدعى منه الكلام فيقول: حتى يحضر الناس. فإذا [٢٥ب] جاء أرسطاطاليس قال: تكلّموا فقد جاء الناس^(١).

(١) ورد في «مختار الحكم» للمبشر بن فاتك (نشرنا ص ١٦٦) مع اختلاف بسيط في بعض الألفاظ.

آداب أرسطاطاليس

قال أرسطاطاليس: لا يوجد الفجور محموداً، ولا الغضوب مسروراً، ولا الكريم حسوداً، ولا الشر غنياً، ولا الملول دائم الإخاء، ولا مفتتح يعجل الإخاء ثم يندم^(١).

وقال: زهدك فيمن يرغب فيك قصر همة. ورغبتك فيمن يزهد فيك ذل نفس.

وقال: الجلم عُدَّةٌ للسفيه، وجُنَّةٌ من كيد العدو، وحرزٌ من حسد الحسود. فإنك لن تقابل سفهاً بالإعراض عن قوله إلا أذلت نفسه، وفللت حذّه، وسللت عليه سيوف من يشاهد حلمك عنه فيتولوا لك الانتقام منه^(٢).

وقال: العلم دليلٌ للعقل، والعقل قائد الجلم^(٣).

وسعى إلى أرسطاطاليس تلميذٌ له بآخر، فقال له: أتحب أن يُقبل قولك فيه على أن يُقبل قوله فيك؟ قال: لا. قال: فكُفَّ عن الشر يكف عنك^(٤).

قال:

وقال رجل لأرسطاطاليس: بلغني أنك اغتبتني. فقال: ما بلغ من قدرك أن أذع لك خلةً/من ثلاث. قال: وما الثلاث؟ قال: إما علمٌ أُعْمِلَ فكري فيه، وإما لذة أُعْمِلَ بها نفسي، وإما إقبال على عمل صالح^(٥).

(١) ورد في «مختار الحكم» ص ٢٠٣.

(٢) ورد في «مختار الحكم» ص ٢٠٤.

(٣) ورد في «مختار الحكم» ص ٢٠٤.

(٤) ورد في «مختار الحكم» ص ٢٠٤.

(٥) ورد في «مختار الحكم» ص ٢٠٤.

وكان يقول: التهمة تهدي إلى القلوب البغضاء. ومن واجهك فقد شتمك.
ومن نقل إليك نقل عنك.

وقال: حُسن الخلق للنفس، وحسن الوجه للجسد. ومن قُبِحت صورته
ساء خلقه.

وقال: للطالب البالغ لذة الإدراك، وللطالب المحروم راحة اليأس.

وقال: العالم يعرف الجاهل لأنه قد كان جاهلاً، والجاهل لا يعرف العالم
لأنه لم يكن عالماً.

وقال: كما لا يُنبت المطر الكثير الصخر، كذا لا ينتفع البليد بكثرة التعليم.

وقال: لسان المرء كاتب قلبه، إن أمل عليه شيئاً آتى به^(١).

وقال: ليس طلبى للعلم طمعاً في بلوغ قاصيته ولا استيلاءً على غايته،
ولكن التماساً لما لا يسع جهله ولا يحسن بالعاقل خلافه.

وقال، ورأى ناقهاً يكثر من الأكل، فقال له: يا هذا! ليس زيادة القوة
بكثرة ما تورّد بدنك من الغذاء، ولكن بكثرة ما يقبل منه^(٢).

وقال: الحكمة سلّم العالم، فمن عديم القرب من باريه. ومن لم
يكن حكيماً، لم يزل سقيماً.

قال: ومّر أرسطاطاليس/برجلي قد قطعت يده، فقال: أخذ ما ليس له [٢٦ب
فأخذ ما كان له.

وقال: إن معاني الأشياء موجودة في أربعة مواضع: إمّا في ذوات الأشياء

(١) ورد في «مختار الحكم» ص ٢٠٤.

(٢) ورد في «مختار الحكم» ص ٢٠٤.

ذوات المعاني، أو في فكر النفس، أو في القول، أو في الكتاب. ففي ذوات الأشياء وفي الفكر لا تتغير لأنها طبع. وفي القول والكتاب تتغير لأنها وضع. فما في الخط دليل على ما في القول، وما في القول دليل على ما في الفكر من ذواتها. وقال أرسطوطاليس: العلم العلة الفاعلة، والهواء العلة الهيولانية، والخط العلة الصورية، والبلاغة العلة التمامية.

وقال: الجاهل عدو لنفسه، فكيف يكون صديقاً لغيره؟!

وقال: الوفاء محبة الكرم سجية.

وقال: كفى بالتجارب تأدباً، وتقلّب الأيام عظة^(١).

وقال: ما أخلق العرض ولا أذله مثل ممتن بيده، واستطالة منعم بفعله.

قال لأرسطوطاليس: ما يزين المرء بين إخوانه يأيها الحكيم؟ فقال: الأدب يزين غنى النفس، ويستر فقر الفقير^(٢).

وقال له رجل: ما البلاغة؟ فقال: إقلال في إنجاز، وصواب مع سرعة [٢٧] جواب^(٣).

قال: غير منتفع بالحكمة قلب مرتبط بطلب المعيشة والتكسب.

تسبيح أرسطوطاليس

يا أزل الأزل! يا قديماً لم يزل! يا مبدئ قدم الأول فيني^(٤) نارك.

(١) ورد في «مختار الحكم» ص ٢٠٤ .

(٢) ورد في «مختار الحكم» ص ٢٠٥ .

(٣) ورد في «مختار الحكم» ص ٢٠٥ .

(٤) فعل أمر من: رقى، بقي.

رسائل أرسطاطاليس إلى الإسكندر

وكتب إليه في بعض رسائله:

كما أنه ليس من المروءة أن تقتصر من الأموال والعبيد على ما فيه الحاجة وتدعوك إليه الضرورة، بل أن تتخذ الأشياء الشريفة التي كالبناء والتجمل، فكذلك العلوم أيضاً ليس من المروءة أن تقتصر منها على ما تحتاج إليه لضرب من المنفعة دون أن تكتسب الشريف السنّي منها.

وكتب أرسطاطاليس إلى الاسكندر، حين ظفر بما ظفر به وافتتح عامة

البلاد:

أمّلك الرعيّة بالإحسان إليها تظفر بالحجّة منها، فإن طلبك ذلك منها بإحسانك إليها أدام بقاءً منه باعتسافك عليها. واعلم أنّك لا تملك الأبدان فتخطّها إلى القلوب إلّا بالمعروف. واعلم أن الرعيّة إذا قدرت أن تقول، قدرت أن تفعل. فاجهّد ألا تقول، تسلم من أن تفعل.

وكتب إليه أيضاً :

إنك قد أصبحت ملكاً على ذوي/الأحساب، وأوتيت فضيلة الرئاسة نبلاً [٢٧ب] عليهم. فمما يشرف رياستك ويزيدها نبلاً أن تستصلح العامة لتكون رأساً لخيار محمودين، لا لشرار مذمومين. ورئاسة الاغتصاب، وإن كانت تدم لحصالي شتى، فإن أولى ما فيها بالمذمة أنها تحط قدر الرئاسة، وذلك أن الناس في سلطان الغاصب كالعبيد، لا كالأحرار. ورئاسة الأحرار أشرف من رئاسة العبيد. ومن تحيّر رئاسة العبيد على رئاسة الأحرار كمن يختار رعيّ البهائم على رعي جميع الناس،

وهو يظن أنه قد أصاب وغبم. فحال الغاصب فيما يركب من الغضب هذه الحال، لأنه يطلب عخل المُلْك وشرفه. وليس شيء أبعد من الملك من الاعتصاب، لأن الغاصب في شكل المولى، والملك في شكل الأب.

ومما يضع قدر الرياسة ما كان يضع مَلِكُ فارس: فإنه كان يسمى ابنه وكلَّ واحد من رعيته عبداً. والرياسة على الإخوان والأفاضل خير من التسلط على العبيد وإن كثروا؛ وهي بالناس جميعاً أولى، ولا سيما/بذي الهمم والأخطار. وأنت [٢٨] حقيق بأن تسلّ سخيمة العامة على السلطان مما تذيبهم من رفق تدبيرك، وتضع عنهم من مكروه العنف والغلظة والفظاظة. فإن العبيد إذا عُرضوا على المشتري لا يسألون عن كسادهم وجاههم، بل إنما يسألون: هل فيهم فظاظة؟ فالأحرار أخرى أن ينفروا من ذلك إذا كان في السلطان. ولذلك ما يصيرون إلى الوثوب عليه. فإذا ظهرت على مثل ذلك، فضّع مع أوزار الحرب أوزار الغضب لأنهم في تلك الحال عدوهم في هذه الحال تحوّل، فقد ينبغي أن تبدّلهم بالغضب رحمة وعطفاً. وقد ينبغي للمرء أن يعرف مقدار الغضب فلا يكون غضبه شديداً طويلاً، ولا ضعيفاً قصيراً، فإن ذلك من أخلاق السباع، وهذا من أخلاق الصبيان.

وليس من كبر المهمة ألا يكون الملك متعطفاً على الناس، بل بالتعطف والرافة ينبل المَلِك ويُنْعِدصيته ^(١) في الناس. وأنا أعرفك بهذا المذهب، ولكنني لا آمن أن تؤتني فيه مما جرى عليه ناسٌ كثير في سوء المشورة، فإن كثيراً من الناس يشيرون، إذا استشيروا، بغير ما يشاكل المشار عليه، بل بما يشاكلهم. وليس مما ينتفع به في الأمر/الحادث، ولكن مما يخصّهم نفعه في أنفسهم. وأنا أحب لك [٢٨ب] أن تقتدى برأي اسويدس ^(٢) حيث يقول إن فعل الخير في الجملة أفضل من فعل

(١) في الصلب: صوته، وما أثبتناه في الهامش.

(٢) Hesiodos : شاعر يوناني قديم، عاش في أغلب الظن في نهاية القرن الثامن قبل الميلاد، وولد في =

الشر. وقد تستطيع أن تغلب الشرّ بالخير دون الشرّ، وذلك أشرف الغلبتين لأن الغلبة بالشر جلد، والغلبة بالخير فضيلة.

إنه قد أمكنك أن تودع الناس من حُسن أثرك ما ينشر ذكره في آفاق البلاد، ويبقى عل وجه الدهر؛ فافترض ذلك في أوانه.

واعلم أن الذي يتعجب منه الناس: الجزالة وكبر الهمة، والذي يحبون: التواضع ولين الجانب. فاجمع الأمرين تستجمع محبة الناس لك، ويعجبهم منك ما لا يمتنع أن تتكلم بما يقنع العامة، فإن الناس ينقادون للكلام أكثر من انقيادهم للبطش، ولا تحسبن إن ذلك يضع من قدرك، بل مما يزيدك نبلاً: أن تنطق بالحجة، إذ أنت قادر على القسّر. واعلم أن التودد من الضعيف يُعدّ مَلَقاً، والتودد من القوى يعدّ تواضعاً وكبر همة، فلا تمتنع أن تتودّد إلى العامة لتخلص لك محبتهم، وتنال الكرامة منهم.

واعلم أن الأيام تأتي على كل شيء: فتخلق الأفعال، وتمحو الآثار، وتُميت [٢٩أ] الذّكر، إلّا ما رسخ في قلوب الناس محبة يتوارثها الأعقاب. فاجتهد أن تنظر بالذّكر الذي لا يموت، بأن تودع قلوب الناس محبةً يبقى بها ذكر مناقبك وشرف مساعيلك.

ولا ينبغي للمدبر أن يتخذ الرعية مالأً وقنية، ولكن يتخذهم أهلاً وإخواناً، ولا يرغب في الكرامة التي ينالها من العامة كرهاً، ولكن في التي يستحقها بحسن الأثر وصواب التدبير. والسلام!

= Ascras في إقليم بونثيا. وتنسب إليه ثلاثة مؤلفات لا تزال باقية لنا. وأولها لا شك في أنه من تأليفه، وعنوانه: «الأعمال والأيام» والثاني هو «نَسَب الآلهة»، والثالث: «درع هرقل»، والأخير منحول قطعاً. والاعتباس هنا من الكتاب الأول، البيت رقم ٢٨٩ الخ.

وكتب أرسطاطاليس إلى تلميذ له — أخطأ عليه — كتاباً يقول في آخره:
والسلام عليك سلام سُنَّةٍ ، لا سلام رضا.

آداب الإسكندر بن فيلفوس الماقدوني، المعروف بذي القرنين

وإنما سُمِّيَ ذا القرنين لأنه بَلَغَ المشرق والمغرب، وهما قرنا الدنيا. وقيل: بل كانت له ضفيريّتان، فسُمِّيَ بهما ويقال إن ذا القرنين سَمِعَ من معلمه أرسطاطاليس أن الغمَّ يُعِلُّ القلب، والهَمُّ يذيب القلب، فأراد أن يعلم حقيقة ذلك. فعمد إلى حيوان يقارب الإنسان في الطبع فحبسه أياماً في موضع مظلم وأجرى عليه من القوت ما يقيم جسمه. ثم أخرجَه فذبحه، فوجد قلبه قد تلاشى وذاب حتى لم يَبْقَ إلَّا رِسمه. / فعلم أن أرسطاطاليس الحكيم لم يقل إلا حقاً. [٢٩ب]

فمن آدابه:

قوله: لا يُتَلَبَّسُ بالسلطان في وقت اضطراب الأمور عليه، فإن البحر لا يكاد يَسْلَمُ راكمه في وقت سكونه؛ فكيف لا يَهْلِك مع اختلاف رياحه واضطراب أمواجه؟!

وقال الاسكندر لمعلمه أرسطاطاليس: أَشِيرُ عَلَيَّ في عمَّالي! فقال له: انظر من كان فيهم له عبيد فأحسن سياستهم فَوَلَّهَ الجند، وَمَنْ كانت له صنعة فَأَحْسَنَ تديرها فَوَلَّهَ الخراج^(١).

وسُئِلَ الإسكندر: أَيُّ شيءٍ نلتَه بملكك أنت به أكثر سروراً؟ فقال: قَوَّتِي على مكافأة مَنْ أَحْسَنَ إِلَيَّ بأكثر من إحسانه.

(١) ورد في «مختار الحكم» ص ٢٤٥.

وليم الإسكندر على مباشرته الحرب، فقال: ليس من الإنصاف أن يقاتل أصحابي عني ولا أقاتل عن نفسي^(١).

وقال^(٢): ذو المروءة يُكْرَم وإن كان فقيراً، كالأسد يُهاب وإن كان رابضاً. والعديم من المروءة يُهان وإن كان موسراً، كالكلب يُرْجَم وإن طُوق وحُلِيَ.

وقال: إن محادثتك من لا يعقل بمنزلة من يضع الموائد لأهل القبور؛ ومحادثتك من لا يعقل بمنزلة من يبل شجرة يابسة لا تبتل. وَلَتَقُلُ الصخور من رؤوس الجبال أيسر من محادثتك/من لا يعقل. [٣٠]

وقال الإسكندر لجلسائه: ينبغي للمرء أن يستحي أن يأتي قبيحاً في منزله بين أهله وولده وحشّمه، وفي غير منزله ممن يلقاه أو يشعُر به وحيث يأمن من أحديّ يحسُّ به أو يلقاه من نفسه. وإذا أَمِنَ ذلك كله، فمن الله عز وجل.

وذكر للإسكندر أن رجلين أحدهما غني والآخر فقير طلبا بنتَ دميانوس^(٣) وخطباها إليه: فدفعها إلى الفقير دون الغني. فسأله الإسكندر عن ذلك فقال: فعلتُ ذلك، أيها الملك، لأن الغني كان أحق ولم يكن له أدب يحفظ غناه، والفقير كان أديباً عالماً يُرْجَى له الغنى فلذلك آثرته على الغني.

وقال ألبون البطريق^(٤) للإسكندر: أيها الملك! معنا أسارى كثير، وهم أعداؤك، وقد أظفرك الله بهم فلم لا تستملكهم: قال: لا أحب أن أكون ملكاً

(١) ورد في «مختار الحكم» ص ٢٤٥.

(٢) ورد في «مختار الحكم» ص ٢٤٥.

(٣) في الصلب: دمياس، وفي الهامش ما أثبتناه.

(٤) البطريق πατριάρχης في اليونانية قبل المسيحية: رب الأسرة أو القبيلة. وفي العصر البيزنطي المسيحي أطلق على القائد الأعلى للجيش كما أطلق على رئيس الكنيسة.

للعبيد، وأنا ملكٌ للأحرار^(١).

وقال في القلم: لولا القلم ما قامت الدنيا ولا استقامت المملكة، وكل شيء تحت العقل واللسان لأنهما الحاكمان على كل شيء والمخبران عن كل شيء، والعلم يوجد لهما شكلين ويريكهما صورتين.

وقال فيه أيضاً: القلم يريد العقل فتوقوا زلفاته وتصفّحوا نتائجه، فإن البريد/إذا زلق وكذب هجّن صاحبه. ومن ها هنا قيل^(٢): إذا كذب السفير بطل [٣٠ب] التدبير^(٣).

وسأل الإسكندرُ أفلاطسَ الحكيم: ما الذي ينبغي للملك أن يُلزم نفسه؟ قال: يفكر ليله في مصلحة الرعية، وينفذ ذلك نهاره.

وسمع الإسكندر رجلين من أصحابه يختصمان وكل واحد منهما يُهين صاحبه، وكانا قبل ذلك متصادقين متحابين، فقال الإسكندر لجلسائه: ينبغي للرجل إذا واخى صديقاً أن يتوخى مياسرته، ويتجنب معاسرته ولا يسترسل إليه فيما يشينه.

ودخل رجل رث الكسوة على الإسكندر، فتكلم فأحسن، وسُئِل فأصاب في الجواب. فقال [له] الإسكندر: لو تكون كُسُوْتُكَ بحُسن منطلقك لكنت قد أعطيت جسمك حقّه من الزينة، كما أعطيت نفسك حقّها من العلم. قال: «أيها الملك! أما الكلام فاقدر عليه، والكسوة أنت تقدر عليها». فأمر فخلّع عليه، وأحسن إليه.

وسأل رجلان الإسكندر — وكانا من خاصّته — أن يقضي بينهما. فقال

(١) ورد في «مختار الحكم» ص ٢٤٥.

(٢) ورد في «مختار الحكم» ص ٢٤٥.

لهما: الحكم يرضي أحدهما، ويُسَخِّط الآخر. ولكن استعملنا الحق بينكما ليرضيكما جميعاً^(١).

[٣١] قال: وعزل الإسكندر عاملاً عن عَمَلِ نفيس/وولاه عملاً خسيساً. فقدم عليه بعد حين فقال له: كيف رأيت عملك؟ فقال: «أيها الملك! ليس بالعمل^(٢) النبيل ينبل الرجل، لكن الرجل هو الذي يُنْبَل عمله، فإن كان العمل خسيساً جعله — بخسن السيرة وإنصاف الرعية — نفيساً». فاستحسن ذلك فيه وولاه عملاً جليلاً.

وأوصى الإسكندر صاحب جيش له أن يُحَبِّبِ الهربَ إلى أعدائه. فقال: نعم! قال: وكيف تصنع؟ قال: إذا ثبتوا جَدَدْتُ في قتالهم، وإذا هربوا بين يدي لم أطلبهم^(٣).

وقال الإسكندر لغلمانه — وقد تلقاه قومٌ أشرارٌ بالمدح له: انظروا لعلِّي أسأت في أمري، فاستحققتُ أن يمدحني مثل هؤلاء الأشرار. وقال: قَتَلْتُ أرضاً خابرها، وقَتَلْتُ أرضٌ جاهلها.

ومرَّ الإسكندر بمدينة قد ملكها سبعة ملوك وبادوا. فقال: هل بقي من نسل الملوك الذين ملكوا هذه المدينة أحد؟ قالوا: نعم! رَجُلٌ واحد. قال: فدَلُّوني عليه. قالوا: قد سكن المقابر. فدعا به، فأثاه. فقال له: ما دعاك إلى لزوم المقابر؟ قال: أردت أن أُمَيِّزَ عظام عبيدهم من عظام ملوكهم، فوجدتها سواء. قال: فهل لك أن تتبعني، أخبي شرفك وشرف آبائك إن/كانت لك هِمة؟ قال: إن هِمتي [٣١ب]

(١) ورد في «مختار الحكم» ص ٢٤٥.

(٢) أي: الوظيفة، المنصب. والخبر ورد في «مختار الحكم» ص ٢٤٨.

(٣) ورد في «مختار الحكم» ص ٢٤٦.

لعظيمة. قال: وما هي؟ قال: حياة لا موت معها، وشباب لا هرم بعده، وغنى لا فقر معه، وسرور بغير مكروه، وصحة من غير سقم. قال: هذا ما لا تجده عندي. قال: فأنا أطلبه ممن هو عنده. فقال: ما رأيت أحكم^(١) من هذا. ثم خرج فلم يزل في المقابر حتى مات الإسكندر.

خبر الإسكندر في آخر علقته
لما أيقن بالموت، وكان سُقي سُمًّا
وكتابه إلى أمّه^(٢) ينهاها عن الجزع
ويأمرها بالصبر عنه

«أما بعد^(٣)!

فارغبني بنفسك، يا أمُّ، عن شَبّه النساء في الرقة والضعف، كرجعتي التي كانت عن شَبّه الرجال في الدنيا من أمورهم، ورجعتي بنفسي عن ذلك. وعلمي أن الموت لم أفكر فيه ولم يتعبني من أجل أني كنت أعلم أنه سيأتي، فلا يُتعبك الحزن، فإنك لم تكوني جاهلةً بأني من الذين يموتون. واعلمي أني كتبت كتابي هذا وأنا أظن أنك تعزين به، فلا تُخلفني ظني،

(١) في الصلب: أعلم، وما أثبتته في الهامش.

(٢) تدعى Olympias، وكانت أخت الإسكندر الأول ملك أبيروس. وقد تركت مقدونيا لما تزوج فيليب الثاني ملك مقدونيا وزوجها، سيدة تدعى كليوبتره في سنة ٣٣٧، ومن المعتقد عامة أنها شاركت في اغتيال فيليب زوجها في سنة ٣٣٦ ق.م. وقد لجأت إلى مدينة بoudna لما هاجمها كسّاندر، لكنها قتلت في سنة ٣١٦، أي بعد وفاة ابنها الإسكندر بسبع سنوات (توفي الإسكندر في سنة ٣٢٣ ق.م).

(٣) ورد هذا الكتاب في «مختار الحكم» ص ٢٤٩ — ٢٥٠.

وقد علمت أن الذي أذهب إليه خيرٌ من الذي أنا فيه وأظهر فاعتبطني لي بذهابي واستعدي لاتباعي في إجمال، فقد انقطع ذكري بما كنت أذكر به من المُلْك والرأي؛ فأحيي ذكري بما يظهر من حلمك وصبرك/وبما ترين أنه لي زَيْن. ولا [١٣٢] يعملنك حبي إلا على ما أحب، فإنما علامة حب المحب أن يصنع ما يحب حبيبه ويدع ما يكره.

واعلمي أن الناس سيتفقدون هذا منك، ويراعون ما تُحدثين منه عليّ ويظهر من جزعك أو صبرك عنده، ليعرفوا بذلك طاعتك لي من معصيتك وقبولك مني من خلافك لي.

وفكرّي يا أمُّ، في الخلق، واعلمي أنهم تحت الكون والفساد، ومن الابتداء وإلى الانتهاء؛ والإنسان بعد ابتدائه دائرٌ بائد، وإلى عنصره الكائن منه عائد، والمقيم، وإن طال، راحل، والمُلْك، وإن دام، زائل.

واعبري، يا أمُّ، بمن قد مضى من القرون الخالية، وبأد من الأمم السالفة، وتضعضع من الأبنية العالية، وانهدّ من المساكن السامية المشيدة الحصينة، وخرب من العمارة الحسنة.

واعلمي، يا أمُّ، أن ابنك لم يرض لنفسه بأخلاق صغار الملوك، فلا ترضي لنفسك بأخلاق الضعفاء من أمهات الملوك.

وارغبي بنفسك، يا أمُّ، عما رغب بنفسه ابْنُك عنه. وليكن عظيم اضطبارك كعظيم رزيتك، فإن الحازم من كان صبره في مصيبتة كعظيمها يرتضيها^(١).

(١) في الهامش: ونفسه عند مصيبتها كعظمها.

يا أمُّ، إن كل شيء خلقه الله يكون أوله صغيراً ثم يكبر، إلا المصيبة فإنها [٣٢ب] تكون كبيرة ثم تصغر. فاكثفي بهذا التدبير والتقدير.

ومري، يا أمُّ، ببناء مدينة عظيمة حين يرد عليك موت الإسكندر وأعدّي فيها من الطعام والشراب، واحشري الناس إليها من بلاد لوبيه^(١) وأورفيه ومقدونية وآسيه، ليوم معلوم إلى طعام مُعدّ وشراب مُتخذ، قد تنوقت في إصلاحه، وشغلت نفسك بتفقدته ليُعجَب الناظرُ إليه ويستمرّه الآكل منه، ويلذّه الشارب له. فإذا تمّ ذلك، فتقدمي إلى الناس كافةً أن يحضروا ذلك الطعام والشراب، وألا يتخلف أحدٌ عن حضور موائد الملكة التي اتخذتها لإكرامهم في يوم كذا وكذا. ثم نادي في الناس: «لا يحضر طعام الملكة ولا يدخل دارها أحدٌ أصابته مصيبة، ليكون مأتم الإسكندر مخالفاً لما تم العامة».

فلما اتصل بها موت الإسكندر، أمرت ببناء مدينة حسنة، واصطنعت فيها من الطعام والشراب ما قدّرت عليه. وأذنت للناس بالمسير إليها من كل ناحية. وأمرت ألا يدخل المدينة ولا يحضر الطعام أحدٌ أصابته مصيبة. فلم تَر/أحدًا. [٣٣أ] فقالت: ما بال الناس مع تقدّمنا إليهم قد تخلفوا عنا؟ فقليل لها: أمرت ألا يوافيك من أصابته مصيبة؛ وكل الناس قد أصابتهم المصائب، ونابتهم النوائب. فقالت: «يا إسكندر! ما أشبه أوائلك بأواخرك! أحبيت أن تعزّيني عنك التعزية الكاملة».

رسالة الإسكندر إلى أمه

يعزّيها بنفسه

«بسم الله! من مرافق أهل الحياة قليلاً، ومرافق أهل القبور طويلاً، إلى أمّه

(١) لوبيه = أفريقيه Libye ، أورفيه = أوروبا Europe .

التي لم تستمتع بقربه في دار القرب، وهي مجاورته غداً في دار البُعد.

سلام عليك من مودّع ظاعن. اسمعي كتابي، وتدبّري ما فيه. واعتصمي
بحسن العزاء والصبر. وترفعي عن شَبّه النساء في الضعف والجزع من المصيبة، كما
كان ابنك مترفعاً عن شَبّه الرجال في أخلاقهم وكثير من أمورهم، وكما لم تكوني
ترضين له بغير ما أنت فيه من الفضل في نفسك والنعمة الظاهرة عليك في
أدبك.

يا أمُّ! هل وجدت لبني^(١) الدنيا ملكاً باقياً، أو حالاً دائمة؟! ألم تَري^(٢)
إلى الشجرة النضرة المخضرة كيف تهتز أغصانها وتلثف ورقها وتحمل ثمرها، ثم لا
تلبث أن تنكسر أغصانها وينثر ثمرها؟!
يا أمُّ! ألم تري^(٣) إلى البيت الناضر يصبح نضيراً/ ويمسي هشيماً.

[٣٣ب]

يا أمُّ! ألم تري إلى القمر المنير أبهى ما يكون ليلة البدر، ينكسف؟
يا أمُّ! ألم تَري إلى الكواكب الزاهرة كيف تغشاها الظلمة؟!
يا أمُّ! ألم تري لهب النيران المتوقدة، ما أسرع ما تخمد؟!
انظري، يا أمُّ، هؤلاء الخلائق المتعيشين في الدنيا، قد امتلأت بهم الآفاق،
واستحارت فيهم الأبصار والأوهام! إنما هم شيء يولد، وشيء ينبت، وهو كله
مقروناً بالبوار والتلف.

يا أمُّ! هل رأيت معطياً لا يأخذ، ومُقْرِضاً لا يتقاضى، ومعيراً لا يسترجع
عاريته، ومستودعاً لا يسترد وديعته؟!
يا أمُّ! ألم تَري إلى الدنيا، وما أثبتناه في الهامش.

(١) في الصلب: لشيء من الدنيا، وما أثبتناه في الهامش.

(٢) ص : تر.

(٣) ص : تر. وهكذا في كل ما يرد بعد.

يا أمّ! إن كان أحدٌ بالبكاء حقيقاً، فلتَبْكِ السماءُ على نجومها، والبحار على حيتانها، والجوّ على طيوره، والأرض على نباتها وما فيها! وليبكِ الإنسان على نفسه التي تموت في كل ساعة، وتتبعُ في كل طرفة عين. بل، علامَ يبكي الباكي لفقد ما فقد؟ أكان قبل أن يفارقه مَنْ فارقه لفراقه آمناً، فأتاه ما لم يكن يحتسب، فأحدث له ذلك البكاء والحزن؟

يا أمّ! هل تريد [أنه] بعد ذهاب من ذهب، باقياً مقيماً لا يظعن وظاعناً^(١) لا يرجع؟ فإن لم يكن هذا شأن الباكي والبكاء، والحزين والحزن؟

يا أمّ! إني كنت بالموت موقناً، ولم أكن/أجهل بجيئه إليّ ولا نزوله بي. [١٣٤] فاعتصمي بالصبر عني واسْئلي عن البكاء علي، فإن مكاني الذي أذهب إليه خيرٌ من المكان الذي كنت فيه وأطهر وأعفى^(٢) من الهمّ والتعب، وأبعد من الخوف والنّصب. فاستعدي لاتباعي واللاحاق بي.

إن ذكر أهل الدنيا إياي وتعظيمهم لسلطاني قد انقطع، وبقي فيهم ذكر ما يرون من حلمك وصبرك وحسن عزائك وطاعة الحكماء فيما يأمرونك به من حُسن العزاء والصبر، وما وعد الله على ذلك من جزيل الثواب والأجر في منزل قرارنا ودار مقامنا.

والسلام عليك، يا أمّ، ورحمة الله وبركاته.

(١) ص : لظعن.

(٢) في الهامش: وأروح.

كلام أم الإسكندر لما قرأت

كتاب ابنها في تعزيتها

إن الأقدار بالمنون تجري بما يشاء مُجبرها، والحكم بالموت ماضٍ على كل
حيٍّ كما يمضيه الحاكم به. والحياة وإن طالّت فالانتهاى يلحقها، وإن قصُرتْ
فالابتداء يمحّقها. وجديد الدنيا فإلى بلاء؛ وعمارتها إلى خراب، وملكها فإلى زوال،
ونعيمها فإلى انتقال، وصفوها فإلى كدر، وسرورها فإلى حزن. تسرُّ وتُحزن، وتُفرح
وتُتريح، وتُبهج وتُتهج. فيا ساكن الدنيا لانتقال عنها أسكنتها، ويا ملكها
لانتقطاع مملكته ملكتها. ويا قاطناً فيها للخروج منها قطنتها. ويا مقيماً بها
لترحيل عنها أقمته فيها. ويا قائداً جيوشها فإلى غيرها قُدّتها. [٣٤ب]

هيهات، هيهات! أين القرون، وأين الأمم، وأين الملوك، وأين الأول! تلاحق
القوم، وسلك بعض في إثر بعض، سعيدٌ وشقي. فمن صفا نجاً، ومن تكدر هلك
وارتبك.

صدقت يا بُني! لا بد للأغصان النضرة من يئس، ولا بد للأوراق في
الأشجار من تناثر، ولا بد للكواكب الزاهرة من ظلمة، ولا بد للقمر المنير من
كسوف، ولا بد للنيران المتوقدة من محمود. مَنْ أعطى أخذ، ومن اقترض استوفى،
ومن أودع استردّ، ومن أعار استرجع، واللاحق في إثر السابق.

يعزيني عنك يا بني أنني لاحقة بك عن قليل. ويسليني عن الحزن عليك
أني سالكة حيث سلكت وذاهة حيث ذهبت، وقاصدة حيث قصدت. ويمنعني
من الجزع والبكاء ما أنا متوقعة له صباح مساء في ممرّ الساعات ترديداً للحسنات
إن كان حيّ يَفدي لحيٍّ^(١)، فأنا الفداء لك، وإن كان لا يُعني ذلك شيئاً.

(١) العبارة مضطربة في المخطوط ص.

فألحقني الله بك، وعندي الصبر الجميل والعزاء الحسن، وألحق بك. والسلام!».

وفاة الإسكندر وحمله في تابوت الذهب إلى أمه وكلامها عند نظرها إلى تابوته

ولما مات الإسكندر في أرض بابل، حُمِلَ في تابوت من ذهب إلى أمه بالإسكندرية. فلما وضع تابوته بين يديها، كشفت عن وجهه ثم قالت: «واعجبا مِمَّنْ بلغت السماء حكمته، وأقطار الأرض مملكته، ودانت له الملوك هيبه، وأقرت بالعبودية له عنوة، وخضعت له الأسود^(١) مخافة، أصبح اليوم نائماً لا يستيقظ، وصامتاً لا يتكلم، وعمولاً على يدي من كان لا يناله بصره.

[١٣٥]

ألا مَنْ مبلغ عني الإسكندر بأن قد وعظني فأتعظت، وعزاني فتعزيت وصبرني فصبرت، وسلاني فسلوت، وذكرني فذكرت، وأدبني فتأدبت، ونهاني فانتفيت، وعلمني فتعلمت. ولولا أنني لاحقة به وسالكة حيث سلك، وصائرة إلى ما صار، لبكيت وأعولت. فعليك السلام حياً وهالكاً فنعم الحي كنت، ونعم الهالك أنت».

فبكى من كان بحضرتها من نسائها:

فقال نادبته: حرّكنا الإسكندر بسكونه.

وقالت أخرى: أنطقنا الإسكندر بسكوته.

وقالت أخرى: نعم الواعظ كان الإسكندر بالأمس، وهو اليوم أوعظ منه

بالأمس.

(١) في الهامش: الأسوار.

[٣٥ب] /وقالت أخرى: كفى حزناً أنك كنت بالأمس وأمرُك نافذ في أقطار الدنيا،
فاليوم أصبحت وأمرُك غير نافذ.

حضور جماعة من الفلاسفة وحكماء الأمم

حمل تابوت الإسكندر بابل

وقول كل واحدٍ منهم^(١)

وكان من خبر الإسكندر حين هلك، أنه جُعل في تابوتٍ من ذهب، ثم انطلقوا به محمولاً يحمله الأشراف والعظماء وأهل البيوتات على عواتقهم، حتى أتوا به الإسكندرية. فوضع نصب أعين من حضر من أهل مملكته وأهل الفلسفة ليتكلموا بكلام يحفظ عنهم، ويكون عبرةً وموعظة.

ثم تكفّف ذوو القرابة له قبل أن يحمل من بابل وهو بين أيديهم. فقال زعيم القوم وأولاهم بالمصيبة به: هذا يومٌ عظمت فيه الفتن، وكُشف فيه غطاء الملك. وأقبل من شرّه ما كان مُدبراً، وأدبر من خيره ما كان مقبلاً فمن كان باكياً على مُلك فليبك، ومن كان متعجباً من أمره فليتعجب. ثم أقبل على الفلاسفة فقال: ليتكلم كل واحد منكم بما يُعزّي به الخاصة، ويعظ به العامة.

[٣٦أ] فقال أولهم: يا لها جهالةً بكاء امرئٍ اليوم مما كان/وطنّ نفسه عليه بالأمس، وضحكه بالأمس مما كان ينوي أن ييكي منه اليوم.

وقال آخر: هيهات! صدّق هذا الموتُ الناس، لولا كدر عقولهم.

(١) أورد المسعودي في «مروج الذهب» (ج ١ ص ٢٨٩ — ٢٩١ — القاهرة سنة ١٩٦٤ طبعة بحبي الدين عبد الحميد) أقوال ثلاثين شخصاً منهم ٢٤ حكيماً وصاحب مائدته وصاحب بيت ماله وخازنا من خزائنه، وزوجته روشنا بنت دارا، وأمه، وكلها تختلف تماماً عما ورد ها هنا، مما يدل على أن المسعودي نقلها من مصدر آخر غير كتاب حنين هذا.

وهيأت! ما زال يدعوهم لولا صَمَم آذانهم. بل هيأت! ما أظهر الأعلام لهم لولا كَمَه أبصارهم وغلظ أفكارهم.

وقال آخر: إن كنت إنما تبكي من جدّة الموت فإن الموت لم يزل جديداً، وإن كنت إنما تجزع لأنه نزل ببعض مَنْ كنت تحب، فانتعظ، فإنه كثيراً ما نزل ببعض مَنْ كنت تبغض.

وقال آخر: أجاهلاً كنت فنعدرك، أم عالماً كنت فنلومك! أجاهلاً كنت فاغتررت، أم عالماً كنت فأضعت!

وقال آخر: إن بارق هذا الموت لبارق لا يُخلف، ومخيلته مخيلة لا تكذب، وإن صواعقه لصواعق ما تخطيء، وإن الناظر ما يروى.

وقال آخر: هلا امتنعت من هذا الموت، إذ أنت ممتنع من أمرٍ لا تملك عليه، وإذ أنت متملك! ما كان أقبح إفراطك وتجيُّرك بالأمس، مع شدة اتضاعك للموت اليوم!

وقال آخر: حوّلت الأمور عنك تحويلاً، وانقطعت الحيل عنك، وأقبلت المكارة إليك إقبالاً أذهب السرور/عنك. فهل أنت مخبرني عن العزة التي كنت [٣٦ب] فيها؟! أم أنت مرتجع بقدرّة عن الذلة التي أمسيت فيها؟! وهل أنت صارفها عنك بقوة؟! هيأت عن هذا! بل أنّى لك بهذا مِنْ هذا!

وقال آخر: قد كنت مغبوطاً، فأصبحت مرحوماً. وقد كنت مرتفعاً فأصبحت متضعاً. فهل تستطيع أن تختصر شيئاً مما صرت إليه بشيء مما كنت عليه، وذلك لو كنت سلفت في أيام حياتك سلفاً نافعاً لنفعك في أيام وفاتك.

وقال آخر: لقد انقطعت بك الأسباب وهي غير متصلة. ولقد نزلت بك بلية غير رافقة بك. فهل عسينا أن يبلغنا هذا من أمرك أن تنجو، بل عسينا ألا

نتعظ به فنهلك.

وقال آخر: لو كنت محزوناً لما صرت إليه، لحمدنا أمرك فيما قد رجعت إليه. فمن لك بأن ترجع فثحسن! بل مَنْ للمسيء أن يُحسن فيسلم!

وقال آخر: يا هذا الذي أعظم العزة حتى هلك، وفرط في العلم حتى مات! ما كان يزهّدك في أن تكسب المعيشة ما عشت، ولا تضرك الوفاة إذا مُت.

وقال آخر: ما لك لا ترغب بنفسك عن ضيق المكان، فقد كنت ترغب

[١٣٧] بها عن رُحْب/البلاد.

وقال آخر: إنّنا لنكتفي من الزهادة فيما كنت تجمع من احتقار الملك في جنب ما كنت تملك بالذي قد نرى زال عنك خاصة دون توليه عن الملوك عامة. فمن كان منا يغبطك^(١) فيما سلف، فقد أمسى يرحمك فيما بقي. ومَنْ كان يعظّمك للذي كنت عليه، فقد أمسى راغباً عمّا صرت إليه. فلا خير في عاجلٍ لا يُستصلح بآجل، ولا خير في آجل لا يُسرّع عنه العاجل.

وقال آخر: يا ويح الإسكندرا! ما أشبه خروجه من الدنيا بسقوطه إليها! سقط إليها غريباً لا يملك شيئاً، وخرج منها مسلوباً لا يملك شيئاً.

ثم قام آخر فقال: اسمعوا مني، وافهموا عني ما أقول لكم: ألا إنه قد اضمحل سلطان الإسكندر، كما اضمحل ظل السحاب.

ثم قام آخر فقال: إن هذا الدهر الزائل بأهله فيه عبوةٌ وعجب لمن تفكّر وعقل.

ثم قام آخر فقال: إن هذا الدهر فيه عِبَرٌ وعجائب. فاتعظوا بهذه

(١) في الهامش: يعظك.

الأعاجيب الناطقة التي وُعظ بها الإسكندر في حياته وبعد مماته.

ثم قام آخر فقال: أين مُلكك المهرب، وفضلك المطلوب، وسلطانك المصحوب، وعزك المحجوب؟ وأين حكمتك الفلسفية، ومعرفتك/المنطقية؟! غاض [٣٧ب] ذلك هُلكاً، وآض ذلك الفضل نقصاً. وصارت الفلسفة عدماً، والمعرفة بكماً. فالراهب بات آمناً، والطالب عاد خائباً. هلاًّ اعتبرت بمن مضى عن ركوب الهوينا. وقام آخر منهم فقال: أيها الملك الجوّال، ما أثبتت أثرك، وأظهر خبرك! انقطعت الآن منك الآثار، وانفصلت عنك الأخبار، ونحلت منك الديار، واستوحش منك المؤانس، ونفر عنك المجالس.

وقام آخر فقال: انفصل منك اليوم ما كان بالأمس متصلاً، وطُفيء منك ما كان مشتعلًا؛ وتفرقت عنك الجنود، وضُمَّتْكَ اللحد. فحياتك كانت سفراً، وماتك أضحى عبداً. فتقطعت بك الأسباب، وأُمن منك الإياب، فقسّمت أموالك، وتفصّلت أوصالك. فحتى ما أنت مسلوب، والحاكم أنت منصوب.

وقال آخر: ما أقرب الإيضاع من الارتفاع، والضرر من الانتفاع، والبؤس من النعم، والفرح من الهموم. وما أبعد الانقطاع من الأتباع، والعمل بعد الانصداع. هيهات! سقط العمل، وبقي الوجَل، ومضى الأمل، دخلت السُّبُل، وانقطعت أسباب العلل.

وقال آخر: ما أقرب الحياة من الموت،/والنطق من السكوت! أما الأرواح [٣٨أ] فمتعلقة بالأعمال: فإن كانت صالحة سَعِدَتْ، وإن كانت طالحة شقيت. وأما الأجساد فعبء للمعتبرين، وعظّة للمتقين.

وقال آخر: كل مُلك إلى زوال، وكل نعيم إلى انتقال، وكل عاجل إلى اضمحلال، وكل مقيم فيإلى ارتحال. فيا ليت شعري أيّ رحلة رَحَلْتُ، وأيّ نقلة

انتقلت!

وقال آخر: لا يشتغلن امرؤ بموت عامته، بل يبكي شجو خاصته من غير أن يُذهب الموتُ عنه طعم الحياة، وأن تشغله الحياة عن طعم الموت.

وقال آخر: كفى من هذا ما يكتنز الناس من الذهب والفضة، وكفى ما يحدث في الناس من الغيرة! إن الذهب كان كثره الإسكندر، وإن الإسكندر أصبح قد كثره الذهب.

آخر: رحلتُ عن الإسكندر آماله التي كانت تعزه من أجله، ونزل به أجله الذي حال بينه وبين المُلْك.

آخر: أما المنية فقد جاءت ولايتها، وأما الحياة فمنقطعة قد جاء عزُّها.

آخر: قد كان سيفك لا يجف، وكانت نِقَماتك لا تُؤمّن، ومراتبك لا ترام، وكانت عطايك يُفرح بها، وضياؤك لا ينكسف، فأصبح ضوؤك قد خمل، [٣٨ب] ونِقَماتك لا تُخشى، وعطايك لا تُرجى/وقبرك معموراً، ومنزلك خراباً، وأصبحت مراتبك لا تمتنع، وأصبح ضياؤك منكسفاً.

آخر: قد كان صوتك مرهوباً، ومُلْكك عالياً، فأصبح صوتك قد انقطع، ومُلْكك قد اتضع.

آخر: قد كان حياً يقدر على الاستماع، فلا يقدر من بعده على القول.

آخر: انظروا إلى حُلْم النائم قد أجلى، وإلى ظل الغمام قد انجلى.

آخر: لو كان هذا الضعيف اليوم عَرَف بالأمس ضعف جسده لكان مغبوطاً.

آخر: كان بالأمس في الهواء، وأصبح اليوم في الترى.

آخر: ما كان أحوجه إلى هذا الحلم والصمت في حياته!

آخر: هذه القدرة الطويلة العريضة طويت في ذراعين. وقد كان حريصاً على الارتفاع، ولم يدر أن ذلك أشدّ للاتضاع.

آخر: صدّ عنا ناطقاً، وورد علينا صامتاً.

آخر: قد كان هذا الشخص واعظاً بليغاً، ولم يعظنا قط بموعظة هي أبلغ من سكوته.

آخر: العجب ممّن لم يكن يجترىء عليه أحد بالأمس، وقد أصبح اليوم يجترىء عليه كل أحد! قد وقّعت في يدي من يعلمك ما لم تكن تعلم.

وقال آخر: لا يعظم في أعينكم من يُعلّم الناس، ولكن من/يعلّم نفسه. [١٣٩]

وقال آخر: ساوى الموتُ بين الخاص والعامّ في المضجع في التراب لما لم تساوِ الحياةُ بينهما في المملكة والاضطراب.

وقالت امرأته رسنق^(١) بنت داريوش الملك: هذا الموتُ حقاً وزناً بوزن، وكيلاً بكيّل. ما كنت أظن أن قاتل داريوش يُغلب.

وقال صاحب نفقاته: قد كنت تأمرني بالحفظ والادخار، فإلى من أرفع ذخيرتك؟! ما أعظم النفقات من الأنفس والأرواح.

(١) Roxana = بنت أوكسيارتس Oxyartes ملك بكتريا. ولما استولى الإسكندر على تل حصين في بلاد الصغد في سنة ٣٢٧ وقعت أسيرة. وتزوجها الإسكندر، وبعد وفاته بقليل أنجبت ابناً هو اسکندر الرابع، الذي اعترف به القواد المقدونيون ملكاً مشاركاً مع فيليب ارهيداوس Arrhidaeus. فجاءت روكسانا إلى أوروبا ومعها ابنها هذا، ووضعت نفسها في حماية اوليياس، والدة الإسكندر، ولجأت إلى بودنا Pydna. لكن كساندر استولى على بودنا في سنة ٣١٦، وقتل اوليياس، وسجنت روكسانا وابنها في أمفيبولس Amphipolis. لكن كساندر أمر باغتيالها في سنة ٣١٠ أو ٣٠٩ ق.م.

وقال صاحب مائدته : أصبح مَنْ كُنْتُ أَصْلَحُ لَهُ الطَّعَامُ طَعَاماً لِلأَرْضِ،
وَمَنْ كَانَ يَتَغَذَّى بِأَطْيَبِ المَآكِلِ أَكْلاً لِلتُّرَابِ؛ وَمَنْ كَانَ يَسْتَمْتَعُ بِالحَيَوَانِ وَالثَّمَارِ
غِذَاءً لِحَيَوَانِ البراري.

وقال صاحب الخزانين: هذه مفاتيح الخزائن لو قبضها مني قبل أن أؤخذ بما
لم آخذ، وأطالب بما لم أودع.

وقال حاجبه: قد كنت أحجب عنك الخاصّ والعام عند خلوتك، وأردت
عن أبواب منزلك مَنْ لَا تَأْذَنَ بِدُخُولِهِ فِيرْجِعْ. فَالآنَ قَدْ أُوتِيتَ مِنْ مَأْمَنِكَ،
وَدَخَلَ عَلَيْكَ مَنْ " لَا يُرَى فَيَمْنَعُ، وَلَا يَرَدُّ فِيرْجِعُ، فَقَهْرُكَ وَأَخْرَجَكَ مِنْ مُلْكِكَ،
وَأَفْرَدَكَ بِمَا قَدِمْتَ لِنَفْسِكَ.

[٣٩ب] وقال بوابه: دخل عليك الموت في حجابك/ولم يستأذن، ووصل إليك في
مهادك ولم يؤامرك.

وقال صاحب حرسه: هذا الذي كان غضبه مرهوباً، وجانبه ممنوعاً، هلاً
غضبت ليرهب الموت منك؟ وهلاً امتنعت لتطرد الموت عنك؟

وقال سيفه: ما بال أسياف نقتك قد أغمدت، وأسياف المنية عليك قد
جرّدت؟!

وقال كاتبه: دخلنا الدنيا جاهلين، وعمرناها غافلين، ونفارقها كارهين.

ذكر حمل التابوت من بابل إلى الإسكندرية

ثم حُمل التابوت. فلما قَدِمَها^(١) أُخْبِرَ بِذَلِكَ مِنْ فِيهَا مِنَ الفلاسفة.

(١) أي: الموت.

(٢) أي: الإسكندرية.

وأخبرت أمه، فأقبلت لتلقاه^(١). فلما رأت التابوت اعتنقته وهي تقول: اليوم انقطع أبهر المُلْك، واشتدت منون الملك، ودرست المملكة عن الإسكندر وطمع فيها مَنْ لم يكن يطمع، وأمَلها مَنْ لم يكن يؤمِّل. فما أعظم المصيبة، وما أبعد التعزية!.. ثم أعولت، واشتد نحيبها، فبكى لبكائها من كان بخضرتها^(٢) من الناس. ثم سكنت. وقالت: «لي في العزاء عنك يا بني، فضلٌ وشرف. آذنتني بموتك قبل كونه، وأوعزت إليّ في العزاء عنك قبل وقوعه. فإلى الله الشكوى، فهو سامع النجوى، ومنْ عنده يؤمِّل/العزاء، ومنْ لدنه يلتمس الجزاء؛ وإنا إليه راجعون [٤٠١أ] غداً». ثم اعتزلت في حجابها.

وقدمت الفلاسفة إلى التابوت، وهم سبعة عشر فيلسوفاً. فبدأ واحدٌ منهم فوضع يده عليه وقال: ألا أيها الشجاع المنتصب! ما خذلك عن الاستماع، وعدّل بك عن الاحتجاج؟ جمعت المال فأوزاره عليك جامعة، وآثامه لك لازمة. فيا ويح نفسك من كل جانب في محل المضايق. قد ساحت بك غمرات الموت، فلا قرابة تُسعدك، ولا وزير^(٣) يفديك.

ثم قام آخر فقال: ألا إن الإسكندر قد سوّى في الذهب الذي كان يجمعه لاهياً. فهو اليوم صامت لا يُحير جواباً، ولا يعرف صواباً، ولا يفتح باباً. ثم قام آخر منهم فقال: هذا الذي ضلّ سعيه، وتمادى غيّه، وأفضى بنفسه إلى الهُلك بالوفاة والوقوف على الحساب، واختار الأولى على الآخرة، وغرّته الأماني الغادرة كما لم تزل تغرُّ مَنْ كان قبله. فأهرق الدماء، واستحلّ النساء، وجعل وخرق فأصبح من بين جميع من معه من أصحابه وجنوده ملفوفاً في أكفانه.

(١) في الهامش: تتلاقاه.

(٢) في الصلب: يختص بها، وما أثبتناه في الهامش.

(٣) وزير: مساعد، معاون.

وقال آخر: أغفلتُ عنك الحراس فاستغررتُ، أم خذلتك الجنود فقهرتُ؟! [٤٠ب] وكيف دخل عليك في حجابك الموتُ ولم/يستأذن؟ ومن أين وصل إليك ولم يستأمر؟!

وقال آخر: أين هذا الذي كان غضبه مرهوباً، وكان حجابيه ممتنعاً؟! هلاً غضبت ليرهب الموت منك؟! بل هلاً امتنعت، فطرد الذل عنك؟! وقال آخر: كفى للعامة أسوءُ بموت الملوك، وكفى للملوك عظةٌ بموت العامة!

وقال آخر: هذه الطريق التي لا بد منها، وهذه الكأس التي لا رِيَّ عنها! فمن ظن أنه ناجٍ منها فليقتنم حياته. ومن ظن أنه مبتلى بهذا فليغتفر لربه. وقال آخر: يا هذا الذي جعل أجله آجلاً، وجعل أمله عاجلاً! هلاً قرّبت من أجلك لتبلغ به بعض أملك؟! بل هلاً حفظت من أملك بالامتناع من وقت أجلك؟!

وقال آخر: لا يطمئن أحدٌ إلى حياةٍ فإنها كذب، ولا يغترّ بالموت فإنه حق.

وقال آخر: يا ويح هذا الموت لا يشتهي! ما أقهره للحياة التي لا تُمل. ما أذلها للموت الذي لا يُحبّ.

وقام آخر منهم فقال: أما الرحلة فسريرة، والإياب فبطيء. فطوبى لمن صفا وخلص، وويل لمن كدر وجلس!

ثم قام آخر منهم فقال: بُنتَ من الأهل والولد، وانقطعت من الجيوش والعدد. فأصبحت مُلقًى بين الأصحاب، عبدةً لألي الأبصار/والألباب، في ضيق بعد الاتساع، وتشثيت بعد الاجتماع. [٤١أ]

ثم قام آخر منهم فقال: لئن أصبحت ذليلاً بعد الانتصار، وقليلًا بعد
الاكثار، لطالما غضت من هيبتك الأبصار، ووجلّت منك القلوب والأفكار.

ثم قام آخر منهم فقال: قد تخلصت من الكدر إلى الصفا، ومن اليأس إلى
الرجاء، ومن الشقاء إلى الرخاء، ومن التعب إلى الهدوء والراحة، فعيشتك سالمة،
وحياتك دائمة. فهنيئاً لك ما صرت إليه.

ثم حمل من ذلك الموضع الذي كان فيه إلى منزل أمه، فقامت إليه
وضمّت التابوت إلى صدرها، وأكبّت عليه طويلاً تبكي.

ثم تقدمت إلى أهل الإسكندرية، وعزمت عليهم واستحلفتهم أن يخرجوا
بتابوته في أجمل زي وأحسن ما يقدرّون عليه من الزينة.

ثم قامت إليه أمه فقالت:

«يا بُني! يا من كانت بلغت السموات حكمته وجميع أقطار البلاد
كلمته، ودانت له الملوك، وتعبّدت له الأمم، وأقرّ له أهل الأرض، وهابه جميع
الخالق، وهو اليوم كما ترونه: نائم لا يستيقظ، وساکت لا يتكلم، ومُلقي لا يقوم،
ومحمول على أيدي الرجال، ولقد كان لا ينالهم بصره، ولا يناله/بصرهم. فمن ذا [٤١ب]
الذي يبلغه عني فتعظم منزلته عندي، وتجوّد عندي كرامته بأنّه قد وعظني
فاتعظت، وعزّاني فتعزّيت. فلولا علمي ألي لاحقاً به ما فعلت. فعليك، يا بُني،
السلام حياً وميتاً. فنعم الحَيّ كنت، ونعم الميت أنت».

ثم أمرت فُدُن في التابوت الذي حُمِل فيه إليها.

فلما فرغت الفلاسفة من كلامها بإزاء التابوت واحداً واحداً وانصرف
أكثرهم، عطّف منهم خمسة إلى والدّة الإسكندر معزّين لها.

فتقدم زعيم القوم فوقف بإزاء التابوت من وراء الستارة، ثم قال:

«يا أم الإسكندر! كيف نعزيك بمن قد عزّاك بنفسه؛ أو نصبرك بمن زين الصبر في عينيك ومكنه في نفسك، حتى استشعرت العزاء وانطويت على الصبر، وامتنطيت اليأس، وأيقنت بالحق اليقين، وركنت إلى الوعظ المبين. فأصبحت أربط النساء جأشاً، وأحسنهن يقيناً، وأكملهن إيماناً، وأفضلهن علماً، وأرجحهن وزناً، وأكثرهن صبراً، وأسلمهن صدرًا، وأوفرهن أجرًا، وأجملهن ذكرًا. عزّاك فتعزيت، وصبرك فنصبرت، وذكرك فتذكرت، وسلاك فسلوت، ووعظك فاتعظت. فجعل الله لك العاقبة/الحمودة والمنقلب الكريم».

فقال له أم الإسكندر:

«لا سلبك الله فضل هذا المقام، ولا حرّمك بركة هذا الكلام! فقد أبلغت وأصبت خاطباً وواعظاً ومعزياً ومسلّياً ومُصبراً ومدكراً. فلقد قمت بما يجب عليك، وزدت عليه بحكمتك وفهمك ما أنت أبلغ فيه وأصدق به».

ثم تقدم آخر من حكماء القوم في مكان صاحبه فقال: «التعزية لمن بان فيه الجزع والخرق، والتسلية^(١) لمن اشتملت عليه الكآبة والقلق. والتصبر لمن أظهر النحيب والزفير، وتابع التنفّس والشهيق. — فأما من لبس العزاء الجميل، وأدّرع الرضا بالمقدور، وتزيّا بزّي أهل التقى والهدى — فهو مستغن عن ذلك، وغير محتاج إليه في سرّ أو علانية».

فقال له أم الإسكندر: «سدّدك الله وسدّد بك، وأرشدك وأرشد إليك. فلقد أبنت^(٢) وأحسنّت، وعزّيت وأجملت. ووعظت فأبلغت، ونطقت فأديت حكمة، وقلت صواباً».

(١) في الصلب: التسلية، وما أثبتناه في الهامش.

(٢) في الهامش: أثبتت.

ثم تقدم آخر فوقف موقف صاحبه فقال: «ما أعظم الرزية، وأفزع المصيبة! وأفزع منها الجزع والاكتئاب، والخرق والالتهاب. فالحازم من دأوى ألم قلبه بالصبر، وعالج/جوانحه بإزالة الفكر».

[٤٢ب]

فقال له أم الإسكندر: أحسن الله جزاءك مع حسن الاتياد، وأوضح لك سُبُل الرشاد. فلقد قمت مقاماً كريماً، وأتيت فعلاً جميلاً أنت قمين بضعفه وموضع لمثله. فبارك الله عليك، وأحسن إليك.

ثم تقدم آخر منهم فوقف موقف صاحبه فقال: مَنْ جَزَعَ فإلى الصبر يرجع، ومن ارتضى فإلى التسلي ينزع، ومحار كل متحرك السكون، وقصّر^(١) كل حي إلى الموت والدثور. وأنت — بحمد الله — ممن زينته الله بالصبر، وأعلى ذكره بالسلو حتى تعزى إلهاماً فتصبر احتساباً، ووعظ نفسه إيماناً وإيقاناً. فذخر الله لك أجره، وأحسن عزاءك بعده.

فقال له أم الإسكندر: جزاك الله خيراً مِنْ حَكِيم قَضَى حَقَّ هَالِكٍ بِالْأَسَفِ عَلَيْهِ وَالْإِغْتِمَامِ بِهِ، وَحَقَّ حَيٍّ بِالْتَعَزِيَةِ لَهُ، وَالْأَمْرِ بِالْصَبْرِ عَنْهُ.

ثم تقدم آخر فوقف موقف صاحبه فقال: من تعزى عن مهجته وثمرة فؤاده بتكرير العزاء له، أو تسلى بكثرة التسلي له، فأنت المتعزية بعزاء الله، والمتسلية بإلهامه، والمتأدبة بأدبه، حتى قامت الحكماء بين يديك بفضل حلمك وكال عقلك اللذين هما/ملاك أمرك، فيجزى بذلك حميد ذكرك، ونقلت الآثار [٤٣أ] عنك بحسن صبرك وعظيم قدرك وسترك. فختم الله لك بأكمل الأجر، وادّخر لك أفضل الذخر.

فقال له أم الإسكندر: قُلْتُ جَمِيلاً أَيُّهَا الْحَكِيم وَكُنْتُ أَهْلُهُ وَأَتَيْتُ وَاجِباً

(١) كذا في المخطوط ص . فهل صوابه: ومصير؟

فعلاً وعقداً وقولاً. وكنت المرجو له والقائم به. فلك الفضل أولاً وآخراً وآناً ومستأنفاً.

كتاب أرسطاطاليس إلى والددة الإسكندر يعزيها به

«أما بعد!

يا أم الإسكندر الملك المشهور! فقد كان من قضاء الله الجاري في خلقه وحكمه، النافذ في بريته، النازل بابنك في دار مُلكه ومحل عزه وموضع أمره ونهيه — ما لم يزل نازلاً بالملك الأعظم والحاشية والحشم والتابعين وجميع الخدم وسائر الخلق: من صغير وكبير، وغني وفقير — حتماً قدره، وآمراً أجراه وقلده قسراً توحّد به الملك المكرم، وقهراً يأخذ منه بالكظم، فما يجيد عنه حائد إلا وهو إليه عائد، ولا يرحل عنه راحل إلا وهو إليه قافل.

الحَيّ منتظر له، والميت مغتبط به، والباقي متورط، والماضي متخلص، فالسعيد من اتعظ بغيره، والرشيد من أعدّ زاده لسيره، والحميد من أجهد نفسه [٤٣ب] في راحة/بدنه.

يا أم الإسكندر! احتسبي ملك الدنيا وحكيمها، وسلّمي الأمر للملك الحكيم الذي سدّده للملك، وأرشده إلى الحكمة، واختار له دار الآخرة داراً، ومُلِكها مُلكاً، وعزها عزّاً؛ وأخرجه من دار الدنيا عزيزاً قادراً، ومُلِكاً قاهراً. وارجعي إلى باري النفوس الذي إليه نصير، وفي إرادته ندور. وتعزي بمن عزّاك بنفسه قبل وقوع الأمر به؛ ومكّني في نفسك من الصبر ما يكون لك به الذكر إلى آخر الدهر. واعلمي أن المغرور من اغترّ، والشقي من أسيف.

والسلام عليك ورحمة الله!.

جواب أم الإسكندر لأرسطاطاليس

فلما قرأت أم الإسكندر كتاب أرسطاطاليس كتبت إليه:

««قرأت كتابك، أيها الحكيم الدالّ إلى البر^(١)، المرشد إلى السعادة في الدنيا والآخرة، فلا زلت دالاً على خير يسعد به العامل، ومرشداً إلى هدى يهدى مستعمله إلى حظ نفسه وحياتها وسرورها بعد مماتها...أ^(٢) الكريم بقدر المصيبة بالملك العظيم، والصبر الجميل على الفادح المهل. فالمصيبة أتت بفتة والعزاء قبلها مستقر. والفاحة نزلت مفاجأة والصبر مستوطن. فيا لها مصيبة عظيمة، قارنها أعظم منها من/الصبر! ويا لها فادحة كبيرة نزل بنزولها الكثير من العزاء، حتى [٤٤أ] تجلّت عن سلوٍ واحتساب، وتقضّت بعد جزع وارتياب. بل أسلمت إلى سكون وهدوء، وأسندت إلى عزاء وسلوٍ. فما أقرب الحيّ من الميت وما ألحق الباقي بالماضي، والتشاغل بالاستعداد^(٣) للرحيل أولى من الاشتغال بالبكاء والعيول والحزن الطويل. والرضا عما جرى أعود من السخط لما أتى. كل امرئ آمن في يومه فهو خائف من غده. ومن تخلص من هول خطبه فهو مرتين بأفطع وريطة.

أتتني المصيبة به، وتقدمت التعزية منه؛ وألّفتني وفائه، وقد أحاطت بي عظاته، وكنت بوفاته موقنة، والسلوة عنه بقلبي متمكنة، وأنا ليومه منتظرة، وإلى مثله صائرة. فعلى هذا انطويت، وبه ارتديت شكراً لله. ثم لك أيها الحكيم، إرشادك وتذكرك. والسلام!».

(١) في الهامش: إلى الخير.

(٢) تكملة في الهامش لم تظهر كلمتها الأولى في المصورة.

(٣) في الصلب: والتشاغل بالرحيل بالاستعداد له أولى.. وما أثبتناه في الهامش.

آداب ذيوجانس

قال^(١) ذيوجانس: إن كنت تفعل الجميل ولا ترتديه إلا أن تُحمد عليه فلست بأفضل ممن يعمل الشر يريد بذلك أن يُحمد عليه. فإن كثيراً من الناس يفعلون الشر ليحمدوا عليه.

[٤٤ب] وقال^(٢): لا تتكلم بين يدي كل أحدٍ من الناس دون أن تستمع/كلامه وتقيس ما في نفسك من العلوم إلى ما في نفسه. فإن وجدت ما في نفسك أكثر فأفسدك وحصّل في نفسك الشيء الذي تفضّل عليه مما استفدته منه. وإن كان في نفسه أكثر، فحينئذ ينبغي لك أن تروم زيادة الشيء الذي به يفضل على ما عنده ويزيد.

وقال^(٣): إن كان الشاتم لك ندلاً، فإن المتلقي الشتم بالشتم أنذل، والكريم هو الذي يتلقى الشتم بالاحتمال.

ورأى ذيوجانس غلاماً جميلاً لا أدب له، فقال: أي بيتٍ لولا أنه لا أساس له.

ونظر إلى امرأة متعلقة بشجرة قد احترقت، فقال: يا ليت الشجر كلّهُ أثمر مثل هذه الثمرة!

(١) ورد في «مختار الحكم» ص ٧٩ برواية أوسع قليلاً.

(٢) ورد في «مختار الحكم» ص ٧٩ برواية أوجز.

(٣) ورد في «مختار الحكم» ص ٨٠ برواية أوجز.

وقال: ليس الخَيْرُ مَنْ كَفَّ عن الشر، لكن الخَيْرُ مَنْ عمل بالخير.

وقال: وقد رأى شيخاً قد خضب لحيته، فقال له: أيها الشيخ! إذا أنت أخفيت شبيك بالخضاب، كيف تقدر أن تخفي هَرَمَكَ!

ورأى معلماً يعلم جارية الكتابة، فقال له: يا معلّم! لا تزدِ الشرَّ شراً!

ورأى امرأة قد حملها المَدُّ، فقال: الشر بالشر يهلك.

ورأى امرأة جميلة فقال: خيرٌ قليل، وشرٌّ كثير.

ورأى رجلين مُدْمِنِي التصاحب، فسأل عن الحال بينهما، فقيل له إنهما صديقان. فقال: ما لي أرى أحدهما غنياً والآخر فقيراً!

ورأى صبياً يشبه/أباه؛ فقال له: نِعَمَ الشاهد أنت لأُمِّكَ. [٤٥]

وقال: صلاح العقل من خمسة أوجه، وفساده من خلافهن: فصلاحه من جودة الغريزة، ومن ثبات الصحة، ومن جمال الأخلاق، ومن النظر في العلم ومناظرة أهله، ومن حُسْنِ العادة.

وقال: إن أفضل الأداة عند المصائب: الصبر، لأن الهارب مما هو كائن إنما ينقلب في يدي الطالب.

وقال لبعض الملوك: رحلتُ إليك بالأمل، واحتملت جفوتك بالصبر، وقد رأيت عندك قوماً قرَّبهم الحظ، وآخرين باعدهم الحرمان. فلا ينبغي للمقرب أن يأمن، ولا للمبعد أن يئأس، فإن أول المعرفة الاختبار، فابُلْ^(١) واختبر.

وقال^(٢): لا مال أوفر من عقل، ولا فقر أشد من جهل، ولا قرين خير من

(١) فعل أمر من: بلا، يبلو = اختبر. والقول ورد في «مختار الحكم» ص ٨٠.

(٢) ورد في «مختار الحكم» ص ٨٠.

حُسْنُ الخلق، ولا ظهر أوثق من مشاورة، ولا فائدة خير من توفيق، ولا ميراث خير من أدب.

وقال^(١) : المرض حَبَسُ البدن، والغَمُّ حَبَسُ الروح.

وقال: القلب ذو لطافة، والجسم ذو كثافة. وبالكثيف حفظ اللطيف كضوء المصباح في القنديل يستره من الأعراض. فمتى غلب عليه الغم أثر فيه ونكأه.

وقال: الفرح للقلب حياة وشرف، والغم له ضغط وتلف.

[٤٥ب] وعاب قوم من المترفين/عيش ذيوجانس، فقال لهم: لو أردت أن أعيش عيشكم قدرت. ولو أردتم أن تعيشوا عيشي لم تقدروا.

وقال^(٢): لست أغالبك بمغالبة الغالب فيها أنذل الفريقين؛ بل بما في إنائك نضحت، وكل إناء بالذي فيه ينضح.

وقال^(٣): أنا أغنى من مَلِكِ الفُرس وأرخصى بالأمن منه. قيل له: وكيف ذلك؟ فقال: لأن لي قليلاً وهو يُقْنِعُنِي، وله الكثير ولا يُقْنِعُهُ. ولا أهتم بأحد، وهو المهتم. [وهذا الكلام مأخوذ من كلام المسيح عليه السلام، لأنه كان قبله]^(٤).

(١) ورد في «مختار الحكم» ص ٨٠.

(٢) ورد في «مختار الحكم» ص ٧٩.

(٣) ورد في «مختار الحكم» ص ٧٧.

(٤) هذا التعليق غريب أن يصدر عن حنين بن اسحق، لأنه كان يعلم تمام العلم أن ذيوجانس عاش قبل المسيح بأربعة قرون، إذ كان يعرف أنه عاش في عهد الإسكندر المقدوني. اللهم إلا أن يكون في النص تحريف وصوابه: مأخوذ منه كلام المسيح عليه السلام لأنه (أي ذيوجانس) كان قبله. وربما كان هذا التعليق مقحماً على النص، وهو ما نرجحه، وكاتبه جاهل. ولهذا نقترح حذفه. ولا نظير له في الترجمة العبرية.

يا ابن آدم: إن كنت تريد من الدنيا ما يكفيك فأقلها يكفيك، وإن كنت تريد منها فوق ما يكفيك فكلها لا يكفيك.

وقيل ^(١) له: ما بال الأغنياء لا يأتون أبواب العلماء، ويأتي العلماء أبواب الأغنياء؟ فقال: لمعرفة العلماء بقدر المال، وجهل الأغنياء بفضل العلم. وسئل ذيرجانس عن الغداء فقال: أما لمن يمكنه فإذا جاع، وأما لمن لا يمكنه فإذا وجده.

(١) ورد في «مختار الحكم» ص ٨٠.

آداب فيثاغورث لتلاميذه وجميع المتأدين من الناس أجمعين التي سماها جالينوس: «الذهبية»^(١)

[٤٦أ] إن أول ما أوصيكم به تبجيل الذين لا يحلّ بهم الموت: من الله — عز وجل — وأوليائه — يعني: الملائكة — وإكرامهم بما توجبه الشريعة/والوفاء والإيمان. ثم إني أوصيكم بمثل ذلك في خدمة الناصرين — يعني الفلاسفة والزهاد — في مذاهبهم، وتبجيل عَمَّار الأرض، يعني الموقى، بفعل ما توجبه الشريعة في إكرامهم، يعني صنفاً آخر من الخلق الذين يقاربون خلق الملائكة. ثم إني أوصيكم بإكرام سلفكم وأقربائكم. وأوصيكم أن تتخذوا من سائر الناس أفضلهم أخلاقاً ليكونوا أصدقاء في الفضيلة، وأن يلين لهم جانبكم في الكلام وفي الفعال، وما يؤدي إلى المنفعة يكون منه ما أمكنكم، على أن الإمكان قريب من الضرورة. فهذا ما ينبغي لكم أن تعلموه.

ثم ينبغي لكم أن تتعودوا ضبط أنفسكم عن هذه الأشياء التي أنا ذاكرها: أولها: بطونكم، وفروجكم، والنوم، والغضب. واحذروا أن تتركبوا قبيحاً في وقت من الأوقات، في خلوة أو في غير خلوة. وليكن استحياءكم من كل أحد.

ثم ينبغي لكم أن تُلْزِمُوا أنفسكم الإنصاف في كلامكم وفعالكم. ولا تحمِلُوا أنفسكم على ارتكاب أمرٍ من الأمور بلا تمييز. بل اعلَمُوا أن الموت حالٌّ في جميع الناس لا محالة.

(١) وردت وصية فيثاغورس المعروفة بالذهبية في «جاويدان خرد: الحكمة الخالدة» (نشرتنا في القاهرة سنة ١٩٥٢ ص ٢٢٥ — ٢٢٨)، لكن برواية تختلف بعض الاختلاف.

فأما المال فليكن قصدكم فيه اكتسابه من حلال وإتلافه/في مثله. ولا يكن [٤٦ب] مذهبكم الجمع والاحتكار. وقد ينال الناس من الأسباب المؤذية بالأسباب السماوية، فاصبروا على ما ينوبكم منها من غير أن تندموا، بل تروموا مداواة ذلك بقدر طاقتكم.

وينبغي لكم أن تعلموا أن ما ينوب الخيار من الناس من هذه الأشياء ليس بكثير. وإذا سمعتم من كلام الناس الكثير — رديئه وجيده — فلا تمتعضوا منه، ولا تحملوا نفوسكم على الامتناع منه. وإن سمعتم كذباً فهوّنوا على أنفسكم الصبر عليه، وأجروا أموركم في كل ما تستعملون عليه. ولا يحملنكم أحدٌ بكلامٍ ولا بفعلٍ على ما ليس يجهل، ولا أن تعاملوا بقبیح يعاب في فعلكم. واحذروا أن تقولوا ما يستجهل منكم. بل إنما ينبغي أن تقتصروا — في ما تفعلون — على ما لا يعود بالضرر عليكم. ولا تفعلوا فعلاً وأنتم جاهلون به، بل اعرفوا ما يجب في كل واحدٍ من الأفعال، فإنكم تُسرّون بمعاشكم.

ولا ينبغي أن تهملوا الصحة من أبدانكم. اعتنوا بالقصد في الطعام والشراب وأصناف الرياضة. وإنما أعني القصد: ما لم يضرّ بكم. وعودوا نفوسكم لأن يكون تدبيركم تدبيراً مستقيماً غير مضطرب. واحذروا أن تفعلوا ما يجلب/عليكم الحسد. ولا تكونوا متلافين، بمنزلة من لا خير له بما في يديه. ولا [٤٧أ] تكونوا أشحاء فتخرجوا عن الخيرية. بل الأفضل في الأمور كلها هو القصد منها. وليكن ما تفعلونه لا يعود عليكم بالضرر. واستعملوا الذكر قبل العمل. ولا تساعدوا أعينكم كل يومٍ قبل أن تتصفحوا الأفعال التي تفعلونها في نهاركم أجمع على ثلاثة أوجه، فتقف على الموضع الذي تجاوزت فيه ما ينبغي، إن كنتم فعلتم ذلك على ما يجب عليكم أن تفعلوه. فمتى كنتم قد أتيتم مكروهاً فليذعركم، ومتى كنتم قد أتيتم فرضاً فليبهجكم. فعلى هذه الأشياء فليكن حرصكم وفيها دؤوبكم،

وإليها فاصرفوا محابكم وشهواتكم، فإنها توطئ لكم ما يرفعكم إلى الفضيلة .
الإلهية.

ومتى التستم فعلاً فابدأوا بالابتهاال إلى ربكم في النجاح فيه، فإنكم إن التزمت هذه الوصايا وقمت على كُنْه ما يجري عليه الأمر فيه ولأوليائه وفينا معشر الناس ما منه زائل في الواحد بعد الواحد، وما فيه ثابت، وعلمتم ما قد قُدر من مجرى الطبيعة في كل شيء على مثالٍ واحدٍ كي ترجوا ما لا يُرجى؛ ولا يذهب عليكم أُمْرٌ من الأمور./وعِلِمْتُ أن الناس يشقى جدّهم الذي " اختاروه وما رآهم في جد من يُرى له؛ إذ كانوا مشرفين على الخيرات وهم لا يقعون عليها، ولا يفدون أنفسهم مما بُلوا به، فإن الشاذّ من الناس يتهاى له استنقاذ نفسه من الشرور. وإن ما بُلوا من ذلك هو الذي يقدح في أذهانهم، فهم يتقبلون بمنزلة ما قد خرج من الأوقات المختلفة إلى أحوالٍ مختلفة، فيقعون في شرورٍ لا إحصاء لها. وذلك أن الأمر اللازم للغريزة محبته يبلى وهو لا يشعر. وقد ينبغي ألا تساعده، بل تهرب منه بإظهار الاستجداء له.

يأيها الربّ الواهب للحياة! حقاً أقول إنك القادر على أن تدفع عنهم بلايا كثيرة إن أظهرت لهم السكينة التي جعلتها فيهم. لكن أنت، أيها الإنسان، جنسٌ إلهي. فالطبيعة الإلهية تقودك إلى الوقوف على كل واحد من الأشياء التي نِلْتَ منها حظاً من الحظوظ، ولَزِمْتَ ما أشير به عليك، ونجّيت نفسك من هذه الأضغاث — نجوت سالماً. لكن امتنع من الأطعمة التي ذكرتها. واجعل امتحانك لها تزكية للنفس، وخبر بواحد واحدٍ مما تقف عليه من ذلك. واجعل القيمّ المشرف على/ذلك التمييز الصحيح، فإنك عند ذلك إذا فارقت هذا البدن حتى تصير بمحلّ في الجو تكون عند ذلك سائحاً غير عائد إلى الإنسية ولا قابل للموت.

وأوصيكم أيضاً بتبجيل عُمّار الأرض بفعل ما توجبه الشريعة في إكرامهم.
ومعنى ذلك أن عُمّار الأرض الأنفسُ التي فارقت الأبدان وصارت إلى الموقف
لتحاسب هناك. والذي توجبه الشريعة هو الصلوات والصدقات عنهم.

آداب أبقرط

قال: منزلة لطافة القلب في الأبدان كمنزلة النواظر في الأجفان.

وقال^(١): للقلب آفتان، وهما الغمّ والهَم. فالغمّ يعرض منه النوم، والهَمّ يُعرض منه السهر. وذلك أن الهَمّ فيه فكر في الخوف مما يكون: فمنه يكون السهر؛ والغمّ لا فِكْر فيه، إنما هو بما قد مضى.

وقال: القلب من دم جامد، والهَمّ يهيج الحرارة الغريزية. فتلك الحرارة تذيب جامد الدم، ولذلك كُره الهَمّ، خوف العوارض الكريهة التي تهيج الحرارة، وتُحْمِي المزاج فيحل جامد الدم، فينتقص التركيب.

وقال^(٢): النفس المنفردة بطلب الرغائب وحدها تَهْلِك.

[٤٨ب] وقال: لا ينبغي أن تكون عِلّة صديقك/— وإن كانت — آلمَ به من تعاهدك له.

وقال^(٣): مَنْ صحب السلطان فلا يجزَع من قسوته، كما لا يجزَع الغواص من ملوحة البحر.

وقال^(٤): مَنْ أَحَبَّ لنفسه الحياة أمانها.

وقال^(٥): العلم كثير، والعمر قصير. فخذ من العلم ما بلغك قليله لكثيره.

(١) ورد في «مختار الحكم» ص ٥٠ باختصار.

(٢) ورد في «مختار الحكم» ص ٥٠.

(٣) ورد في «مختار الحكم» ص ٥٠.

(٤) ورد في «مختار الحكم» ص ٥٠.

(٥) ورد في «مختار الحكم» ص ٥٠.

وقال: إن المحبة قد تقع بين العاقلين من باب تشاكلهما في العقل، ولا تقع بين الأحمقين من باب تشاكلهما في اللحم، لأن العقل يجري على ترتيب فيجوز أن ينفق فيها اثنان على طريق واحد، واللحم لا يجري على ترتيب فلا يجوز أن يقع اتفاق به بين اثنين.

وقال في العشق إنه طبع يتولد في القلب، وتجمع فيه مواد من الحرص. فكلما قوي ازداد صاحبه في الاهتمام واللجاج وشدة القلق وكثرة السهر وعند ذلك يكون احتراق الدم واستحالاته إلى السوداء والتهاب الصفراء وانقلابها إلى السوداء. ومن طغيان السوداء فساد في الفكر ومع فسادته تكون الغرامة ونقصان العقل ورجاء ما لا يمكن، وتمنى ما لا يتم، حتى يؤدي ذلك إلى الجنون. فحينئذ ربما قتل نفسه الفاسق. وربما مات غمماً، أو وصل إلى معشوقه فيموت/فرحاً، أو [٤٩أ] يهلك أسفاً. وربما شهق شهقة فتختفي منها روحه أربعاً وعشرين ساعة، فيبطيء ويظن أنه قد مات، فيقبر وهو حي. وربما تنفس الصعداء، فتختنق نفسه في تأمور قلبه وينضم القلب عليها فلا ينفرج حتى يموت. وربما ارتاح وتشوّف للمنظر، أو رأى من يحب فجاءة، فتخرج نفسه دفعة واحدة. وأنت ترى العاشق إذا سمع بذكر من يحب هرب دمه، واستحال لونه. وزوال ذلك عمّن هذه حاله بلطف رب العالمين، لا بتدبير من الآدميين. وذلك أن المكروه العارض من سبب قائم منفرد بنفسه يتهيأ للتلف في إزالته بإزالة سببه. فإذا وقع السببان، وكل واحدٍ منهما علة لصاحبه، لم يكن إلى زوال واحدٍ منهما سبيل.

وإذا كانت السوداء سبباً لاتصال الفكر، كان الفكر سبباً لإحراق الدم والصفراء وقلبهما إلى السوداء. فالسوداء كلما قويت قوّت الفكر. والفكر كلما قوي قوّى السوداء. فهذا هو الداء العياء الذي تُعجز معالجته.

آداب جالينوس

قال: «الهمّ فناء القلب، والغمّ مرضه». ثم بيّن ذلك فقال: «الغم بما [٤٩ب] كان، والهم بما يكون./وفي موضع آخر: «الغمّ بما فات، والهمّ بما يأتي. فأياك والغمّ فإنه ذهاب الحياة. ألا ترى أن الحيّ إذا غم وجهه تلاشى من الغم».

ووصف جالينوس القلب فقال إن فيه تجويفين: أيمن وأيسر. وفي التجويف الأيمن من الدم أكثر مما في الأيسر. وفيهما عِرْقَان يأخذان إلى الدماغ. فإذا عرض للقلب ما لا يوافق مزاجه، انقبض فانقبض لانقباضه العِرْقَان فتشّج لذلك الوجه، وألم له الجسد. فإذا عرض ما يوافق مزاجه انبسط العِرْقَان لانبساطه. وفي القلب عُرَيْق صغير كالأنبوب، مُطَلّ على شغاف القلب وسُوَيْدائه. فإذا عرض للقلب غمّ، انقبض ذلك العريق، فيقطر منه دمّ على سويداء القلب وشغافه، فينعصر عند ذلك من العريقين دم يتغشاه، فيكون ذلك عصراً على القلب حتى يحسّ ذلك في القلب والروح والنفس والجسم، كما يتغشى بخار الشراب الدماغ فيكون فيه السكر.

وقيل إن جالينوس امتحن ذلك بأن أخذ حيواناً ذا حسّ فعَمّه أياماً. فلما ذبحه وجد قلبه ذابلاً قد تلاشى أكثره. فاستدل بذلك على أن القلب إذا توالى عليه الغموم وأطافت به الهموم، ذبل/ونحل. فحذّر حينئذ من عواقب الهمّ والغم. [٥٠أ]

وقال لتلاميذه: من نصح الخدمة نصحت له المجازاة.

وقال لهم: لا ينفع علم لمن لا يعقله، ولا عقل لمن لا يستعمله.

وقال في كتاب «أخلاق النفس»: كما أنه يعرض للبدن المرض والقُبْح،

فالمرض مثل الصرع والشوصة،^(١) والقبح مثل الجرب وتمعط الرأس وقرعه،
فكذلك يعرض للنفس مرض وقبح. فمرضها كالغضب، وقبحها كالجهل.

وقال: العلل تجني على الإنسان من أربعة أشياء: من علة العلل، ومن سوء
السياسة، ومن الغذاء والخطايا، ومن العدو إبليس.

وقال: الموت من أربعة أشياء: موت طبيعي، وهو موت الهرم، وموت
عَرَضِي من آفات تصيبه، وموت برضاً وشهوة مثل من يقتل نفسه أو يُقَادِمه،
وموتٌ من الفجاءة وهو بَغْتَةً.

وقال، وقد ذُكر عنده القلم فقال: القلم طيب المنطق.

من كلامه في العشق: العشق من فعل النفس وهي كامنة في الدماغ
والقلب والكبد. وفي الدماغ ثلاثة مساكن: التخيل في مقدّمه، والفكر في وسطه،
والذكر في مؤخره. وليس يكمل لأحد اسم العاشق حتى يكون إذا فارق من يعشقه
لم يَحُلْ من تخيله وفكره/وذكره وقلبه وكبد، فيمتنع من الطعام والشراب باشتغال [٥٠ب]
الكبد، ومن النوم باشتغال الدماغ بالتخيل، والفكر فيه والذكر له. فتكون جميع
مساكن النفس قد اشتغلت به. فمتى لم تشتغل به وقت الفراق، لم يكن عاشقاً.
فإذا لقيه خَلَّتْ هذه المساكن.

(١) الشوصة: ورم يحدث في الغشاء الفاصل، وهو الغشاء الذي يفصل بين الصدر والبطن من كلا
الجانبين. وهو عصابي ولا نفث فيه، ويبلغ وجعه إلى الترقوة. وتصحبه دلائل ذات الجنب، وهي
الحُمى ونخس الرجع وتواتر النبض، وضيق النفس. ويعرض معه البرسام، وهو الهذيان. وبالفرنسية
Pleurésie.

آداب بطلميوس

قال: العاقل مَنْ عَقَلَ نفسه إِلَّا عن ذكر الله تعالى، والجاهل مَنْ جهل قدر نفسه. وَمَنْ أخافه الكلامُ أجاره الصمت.

الحكمة لا تُحِلُّ قلب المنافق، إلا وهي على ارتحال. وأدب المرء قرين عقله وشفيعه إلى الناس.

والموت بابُ الآخرة، والأعمال في الدنيا تجارة الآخرة.
[الموت باب الآخرة] ^(١).

ما ماتَ مَنْ أحيَا علماً، ولا افتقرَ مَنْ مُلِكَ فهماً.

وقال: العلماء غرباء، لكثرة الجهال فيهم.

الحكمة شجرة تنبت في القلب، وتثمر في اللسان.

النفس أعدى عدو.

النِّيةُ أساس العمل، والعمل يقين الأجل.

الفقر من الإخوان الجمالُ في اللسان.

أشدَّ العلماء تواضعاً أكثرهم علماً، كما أن المكان المنخفض أكثر البقاع ماءً.

الأمل رفيق مؤنس، إن لم يُبَلِّغْكَ فقد استمتعت به.

(١) كذا مكرر في مخطوط ص .

رضا العبد عن نفسه مقرون بسخط الله .

[١٥١]

نعم الجهال كرياض / .

من كذب سوء الظن بأحسنه، كان ذا قلب مستريح وودّ صحيح.
وقال: لا ينكح خاطب السرّ. وأنس الأمن يذهب وحشة الوحدة، والخوف
يذهب أنس الجماعة.

منع الحافظ خيرٌ من إعطاء المضيع.
لا تناظر إلا منصفاً، ولا تُجب إلا مسترشداً، ولا تُودع سرّك إلا حافظاً.
لا تخرج النفس من الأمل حتى تدخل في الأجل.
إنما سُمي الصديق لصِدِّقه لك، والعدو لعدّوه عليك.
لست تُعرض المسيء لمقت الله — تعالى ذكره! — بمثل الإحسان إليه مع
الإساءة منه إليك.

من أحب البكاء فليعدّ للمصائب قلباً صبوراً.
بالأدب تُشحذ الفطن.
الدار الضيقة العمى الأصغر، والرجال يفيدون المال، والمال يُفيد الرجال.
ومن زاد أدبه على عقله كان كالراعي الضعيف مع غنم كثيرة.
افرح بما لم تنطق به من الخطأ أكثر من فرحك بما لم تسكت عنه من
الصواب.

إذا غصبت فلا ينته غضبك إلى الإثم. واعفُ إذا لم يكن ترك الانتقام
عجزاً.

إذا علمت فلا تفكر فيمن دونك من الجهّال. ولكن اذكر مَنْ فوقك من العلماء.

المرض حبس البدن، والهَمّ حبس الروح.
 [٥١ب] ينبغي للعاقل أن يستحي من ربّه إذا اتصلت/فكرته في غير طاعة.
 الشَّيب آخر مواعيد الفناء.
 شرّ الأمور أكثرها شكّاً، وخيرها ما أسفر عن اليقين.
 مَنْ رأى الموت بعين أمله فقد رآه بعيداً، وَمَنْ رآه بعين عمله وجده قريباً.
 ما تراجمت الظنون على أمرٍ مستورٍ إلّا كشفتهُ.
 قلوب الأحرار حصون الأسرار.
 من لم يتعظ بالناس وعظ الله به الناس.
 العلم بما في الثواب عند المصيبة يُنسي المصيبة.
 وقال: أيدي العقول تُمسك أعنة النفوس.
 عبد الشهوات أذلُّ من عبد الرقّ.
 الناس صنفان: بالغ لا يكتفي، وطالب لا يجد.
 من تاه في ولايته ذلٌّ في عزلته.
 طوبى لمن اشتغل قلبه بالفكر بشكر النعم عن الجحد لها.
 كلما قاربت أجلاً فازدد عملاً.
 ما أوطأ راحلة الواصل بالله، وآنس مثوى المطيع لله.
 لله في السراء نعمة التفضل، وفي الضراء نعمة التطهير والثواب.

الحاسد يرى زوالَ نعمتك نعمةً عليه.

أعدل الناس من أنصف عقله من هَواه.

مَنْ آثر المشورة لم يعدم عند الصواب مادحاً، وعند الخطأ عاذراً.

كفى بالتخلُّق، كاسفاً لمن استبدَّ به، وبالكذب خاذلاً لمن اعتمد عليه.

مالك الحامدك في حياتك، أو لدامك/بعد وفاتك. [٥١ أ مكرر]

الحازم مَنْ لم يشغله البطر بالنعمة عن العافية، ولا الهَمُّ بالحادثة عن الحيلة

فيها.

الكتائم للعلم غير واثقٍ بالإصابة فيه.

مَنْ قبل عطائك فقد أعانك على البرِّ والكرم. ولولا مَنْ يقبل الجود لم يكن

من يَجود.

إصلاح الرعية أنفع من كثرة الجنود.

أُمسك ماضٍ، ويومك مقتبل، وغدك مبهم.

ادفع الشرَّ بالشرِّ، فإن الحديد بالحديد يُفلح.

الظن مفتاح اليقين.

كما أن البدن إذا سَقم لم ينفعه طعامٌ ولا شراب، كذلك القلب إذا علقه

حب الدنيا لم تنفعه المواعظ.

أعظم الناس قدراً مَنْ لم ييال في يدي مَنْ كانت الدنيا.

ليس لشيء مضى مرجوع، ولا لتالفٍ من الدنيا ممنوع. وأنا النذير لمن

اعتبر.

وسئل بطليموس عن العشق فقال: إن الله — عز وجل — خلق كل روح مدوّرة على هيئة الكرة. ثم قطعها أنصافاً، فجعل في كل جسدٍ نصفاً. فكل جسد لقي الجسد الذي فيه النصف الذي قُطع من النصف الذي معه، كان بينهما عشق المناسبة القديمة. وتفاوت أحوال الناس في ذلك من القوة والضعف على قدر طبائعهم.

دعاء كان يُهَيَّن به بطليموس في كل يومٍ قبل طلوع الشمس سرّاً عن [٥١ب مكرر] تلاميذه/فوجد في بعض صحفه بعد موته:

«يا عِلَّة العلل، ويا قديما لم يزل، ويا مسؤولاً لا يسأل! بك قوي الأمل، وفي فكرك ينقضي الأجل! اجعلني لديك بَقَبَل، فقد اجتهدت فيما لم أنل، إلا أن تقول فُقل نُل أنل».

آداب لقمان الحكيم

قال: الصبر صبران: صبرٌ على ما تكره فيما ينوبك من الحق، وصبرٌ عما تحب في ما يدعوك إليه الهوى.

وقال: اشكر لمن أنعم عليك، وأنعم على مَنْ شكر لك، فإنه لابقاء للنعمة إذا كُفرت، ولا زوال لها إذا شُكرت.

ثلاثة لا يعرفون إلّا في ثلاثة مواطن: الحليم^(١) عند الغضب، والشجاع في الحرب، وأخوك عند حاجتك إليه.

وقال: إياك والكذب، فإنه أحلى من لحم العصفور. ومتى تعودته لم تصبر عنه. وإن القلب ليحيا بالكلمة الواحدة من الحكمة كما تحيا الأرض بالوابل من المطر.

أوضع الأخلاق اختيان الصديق، وإذاعة السرّ، والثقة بكل أحد، وكثرة الكلام فيما لا يعني، وطلب الفضل من اللثام.

وقال: خلّتان أقبح بهما: استطالة مَنْ سخى، ويطر مَنْ غنى. وخلّتان أعيت منهما الحيلة: إدبار الأمر إذا أقبل، وإقباله إذا أدبر.

وقال: كما يحول العدو بالصلة/صديقاً، كذلك يحول الصديق بالجفوة [٥٢] عدوّاً.

مَنْ وَهَنَ الأمرُ لإعلانه قبل إحكامه. وعجز القول مُخْبِرٌ عن العقل، فليُنظر

(١) ص : الحليم.

امرؤ ما يقول.

الفكرة مرآة المرء تریه زینته وشینه. وما کتمته من عدوِّک، فلا تظهر علیه صديقک، فریما صار لک عدوًّا.

الشریف إذا تزهّد تواضع. والوضیع إذا تزهّد تکبّر.

السؤال نصف العلم، ومدارة الناس نصف العقل.

القصد فی المعیشة نصف المؤونة.

إذا رأیت الرجل ینافس فی الدنیا، فنافس فی الآخرة.

من الحزم حفظک ما ولیت، وترك ما کفیت.

الانکال علی الله أروح، وقلة الاسترسال إلی الناس أحزم.

جزاء من کذب ألا یصدق. لا تحدّث من تخاف تکذیبه، ولا تسأل من تخاف منعه، ولا تعدّ بما لا تجد انجازه.

اتق من یکرهه قلبک، ولا تضمن ما لا تثق بالقدره علیه، ولا تُقدّم علی أمر تخاف العجز منه. واجتنب مصاحبة الکذاب. فإن أتیت إلیه فلا تصدقه، ولا تُعلمه أنك تکذبه فینتقل عن وده وهو لا ینتقل عن طبعه.

ولا تُسرّع إلی أرفع موضع فی المجلس، فالموضع الذی ترفع إلیه خیر من الموضع الذی تنحط منه.

[٥٢ب] الحُسّاد أكثر من النعم لأنهم یظنون عند المحسود ما لا یملک فیحسدونه علیه.

وقال یوصي ابنه:

«يا بني! أوصيك بالتقوى»^(١)، فإنها لك حظٌ عليك حق. ولا يحُلُ فمك من ذكر الله، فإن فضل ذكر الله على سائر الكلام كفضل الله على خلقه. وأرض الخالق بسخط المخلوق، ولا تأخذك في الله لومة لائم.

أصلح صلاتك التي فرضت عليك، فإن مثلها مثل السفينة في البحر: إن سَلِمَتْ سَلِمَ مَنْ فيها، وإن هَلَكَتْ هَلَكَ مَنْ فيها.

أصلح فريضتك المفروضة عليك، فإنها هدية المرء إلى ربه.

جالس قوماً يذكرون الله: فإن عِلِمْتَ نفعك علمك، وإن جهلت علّموك. وإن نَزَلَتْ عليهم رحمةٌ أو رزق شركتهم فيه.

لا تجالس قوماً لا يذكرون الله: فإن كنت جاهلاً وأدوك، وإن كنت عالماً لم ينفعك علمك. وإن نزلت عليهم لعنةٌ أو سخط شركتهم فيها.

إن داراً لا يأتي عليك يوم ولا ليلة من الدهر إلا ظننت أنك مفارقها لا منفعة فيها. فانظر لنفسك ما تتزوده منها.

إذا زادك الملك تقدماً فزده إجلالاً.

لا ينبغي للعاقل أن يطلب طاعة غيره، وطاعة نفسه عليه ممتنعة.

المرء مفتاح اللجاج، واللجاج مفتاح الإلثم.

* * *

(١) ص: يتقوى. ولم يرد في هذه الوصية لابنه هنا شيء ما أورده مسكويه في «الحكمة الخالدة» ص ١٢٧ — ١٢٨ من نشرتنا من هذه الوصية.

وقال: أكثر المكاره ما لم تُحتسب.

[١٥٣] /العقل بلا أدب كالشجرة العاقر. العقل مع الأدب كالشجرة المثمرة.

الهمُّ مَرَضُ النفس، والسرور صَحَّتْهَا.

لا تكسَلْ، فإنك إن كسلت لم تؤدَّ حقاً، ولا تضجر، فإنك إن ضجرت
لم تصبر على حق. ولا تمتنع من حق، فإنه ليس من عبدٍ يمنع من حقٍ إلا فتح الله
عليه باب باطلٍ فأعطى فيه أمثاله.

حُسْنُ النية من العبادة، وحُسْنُ الجِلسة من الرئاسة، وحُسْنُ الاستماع من
العلم، وحسن الخلق من الكرم، وحُسْنُ الجوار من الحِلْم. وسوء الخلق من اللؤم.
وطلاقة الوجه بالسرور والعطية. وإظهار المكاشرة، وبذل التحية، وخفة الروح في
المعاملة، وترك العصبية: داعية للمحبة في البرية.

آداب هرمس

قال: الغنى وطن، والفقر غربة. والطمع رق، واليأس حرية.

ما أقل منفعة المعرفة مع غلبة الشهوة، وما أكثر قلة المعرفة مع ملك النفس.
من تولى أمراً من أمور الناس، وجب عليه أن يكون ذاكرةً لثلاثة أشياء:
أحدها أن يده وحدها مُطلقة على قوم كثير، وأن سلطانه إنما يثبت مدة، وأن
الذين أطلقته يده عليهم أحرار، لا عبيد.

الأدب* صورة العقل: فحسّن أدبك وعقلك/كيف شئت. [٥٣ب]

إعادة الاعتذار تذكيرٌ بالذنب.

العقل غريزةٌ تزينها التجارب.

النفس أعدى عدوّ.

النية أساس العمل.

النصح^(١) بين الملأ تقريع.

وقال: لا تستقل شيئاً من زيادة الله لك، فتستنفر يقينها منك. نعمة

الجاهل كروضةٍ على مزبلة.

العاقل لا تدعه عيوبه يفرح بما ظهر من محاسنه.

اجتنب الكذاب وصحبته، فإن الكذاب لست منه على شيء يتحصل في

يدك، وإنما أنت منه على مثل السراب يلمع ولا ينفع.

(١) ورد في «مختار الحكم» ص ٢٠.

من تجرّأ لك تجرّأ عليك.

عفا عن الذنب من تقرّع به.

من كثر ملّقه لم يُعرّف بشره. من كثر حقه قل عتابه^(١).

الحازم من لم يشغله البطر بالنعمة عن العمل للعاقبة، والهَمّ بالحادثة عن الحيلة، لدفعها.

إخوان السوء كشجرة النار يحرق بعضها بعضاً.

كفى بالظفر شفيعاً للمذنب إلى الحلیم.

الهموم كاذب إلى من سعى إليه، أو خائف لمن سعى به.

من مدحك بما ليس فيك، فلا تأمنه أن يذمك بما ليس فيك.

المزاح يفني الهيبة، كما تفني النار الحطب.

الموت كسهم مرسل، وعُمرُك بقدر مسيره نحوك.

من أوكد أسباب الحلم رحمة الجهّال.

[٥٤] الغضب يُصدىء العقل حتى لا يرى صاحبه/حسناً فيفعله، ولا قبيحاً فيجتنبه.

مَنْ تكلف ما لا يعنيه فاته ما يعنيه.

الحاسد يكثر ودّه في اللقاء، ويُبغضه في المغيب، واسمه صديق، ومعناه: عدوّ.

لا يستطيع أحد أن يشكر الله — عز وجل — على نعمةٍ بمثل الإناعام بها.

(١) وفي الهامش: عناده.

عار الفضيحة يكدّر لذتها.

لا تقطع أخاك إلا بعد العجز من حيلتك عن استصلاحه، ولا تبعه إلا بعد القطيعة. وإذا بعته فسُدَّ طريقه عن الرجوع إليك ولعل التجارب أن ترده عليك وتصلحه لك.

اللحظ طرّف الضمير.

الجاهل صغير وإن كان شيخاً، والعالم كبير وإن كان صغيراً.
الميت يقل حاسده، ويكثر الكذب عليه.

الفرصة سريعة الفوت، بطيئة العودة.

الدنيا تهن من كانت تكرمه، والأرض تأكل من كانت تطعمه.

لا أشجع من بريء، ولا أجبن من مُذنب.

غضب الجاهل في قوله، وغضب العاقل في فعله.

من جرى في عنان أمله عثر بأجله.

كأن الحاسد إنما خُلِق ليغتاز؛ ويشفيك منه أنه يغتم وقت سرورك.

اقتص^(١) من شهوة خالفت عقلك عليها.

ربما شَرِقَ شارب الماء قبل رِيّه. ومن تجاوز الكفاف لم يُغنّه.

(١) في الهامش: أقصر.

آداب أوميرس

[٥٤هـ] قال: الخط شيء أظهره العقل/بواسطة القلم، فلما قابل النفس عشقته
بالعنصر.

الغضب إذا كان لسبب يُعرف، كان الرضا سهلاً يسيراً. وإذا كان بلا
سبب، كان طلب الرضا صعباً مستعصياً، لأن المحال موجود في كل حال.
مَنْ أضاع الحزم موقناً بالقدر، فقد تعجل في نفسه وأمره.
أعظم الضرر المستشير على طرف النجاح.
خير الدنيا حسرة، وشراً ندم.
العاقل مَنْ عقل عن الذمّ لسانه.
المشورة راحة لك، وتعب على غيرك.
العتاب حياة المودة.
هَبْ ما أنكرت لما عرفت.

آداب أنوشوس

قال في القلم: أفضل الأصوات صوت الإنسان الذي يتَهَجَّى ويتَبَيَّن منه حركة العقل. وأفضل الآلات: القلم، إذ تقيده على الأبصار.

إذا نَحَبْتُ الزمان، كسدت الفضائل، وضرت، ونفعت الرذائل، وصار خوف الموسر أشدَّ من خوف المعسر.

اطلب في الحياة العلمَ والمالَ لتحوز بهما الرئاسة على الناس، لأنك بين خاص وعام: فالخاصة تُفَضِّلُك بما تحسن، والعامة تفضِّلُك بما تملك.

الذهب في الدار مثل الشمس في العالم.

موت الرؤساء أفضل من رئاسة السفلة.

إذا بخل المملوك كثر الإرجاف بهم.

التدبير مع الكفاف/أكفى للمرء من الكثير مع الإسراف. [٥٥]

بعض اليأس خيرٌ من الطلب إلى الناس.

العفة مع الحرمة خير من سؤالٍ مع فجور^(١).

مَنْ أَكْثَرَ أَهْجَرَ^(٢)، وَمَنْ تَفَكَّرَ أَبْصَرَ، وَمَنْ تَبَصَّرَ تَصَبَّرَ.

مِنْ خَيْرٍ حِظُّ الْمَرْءِ قَرِينٌ صَالِحٌ. فَقَارِنْ أَهْلَ الْخَيْرِ تَكُنْ مِنْهُمْ، وَبَايِنْ أَهْلَ

الشَّرِّ تَبْنِ عَنْهُمْ.

الصدود آية المقت، وكثرة العلل آية البُخل.

(١) في الهامش: خير من الغنى مع...

(٢) أي: أتى بالهجر، وهو الفاسد من الكلام.

التجرُّم وجه القطيعة، وظلم الضعيف أفحش الظلم.
التصبر على المكروه يقصم قساوة القلب.
ربّما كان الرفق خُرْقاً، وكان الخُرق رفقاً. وربما كان الدواء داءً. وربما
نصح الغاشّ، وغشّ الناصح.

لا تكن كحاطب الليل وجامع غناء السيل.
كفران النعمة لؤمٌ وصحبة الجاهل شؤم.
بادر الفرصة قبل كونها غصة.
العزم من صدق جودة الحزم.
من الفساد ضيعة المراد.
من حلّم ساد، ومن ساد استفاد، ومن تفهّم زاد.
لقاء أهل الخير عمارة القلوب.
إذا قارفت سيئة فعجّل محوها بالتوبة.
لا تؤخر شغل اليوم إلى غد.
قلّ للناس حسناً واثته.
من الكرم الوفاء بالذمّ.
من ظن بك الخير فصدّقه، واعرف الخير لمن عرفه لك، وضيعاً كان أو
رفيعاً.

[٥٥ب] الشّح يجلب/الندامة. والصديق من صدقك ودّه.

من التوفيق وقوف الأمر عند الخُبّر.
عاقبة الكذب الذم، وفي الصدق السلامة.
الغريب من لم يكن له قريب.
ونعم الخلق التكرّم.

آداب سولون

قال في القلم: القلم صغير الكمية، وقد فاق كل كبير في الكيفية. هو الذي لم يقع إلينا علمٌ إلا وقد وُطئته حدّه، وجرت به شباته وملك زمامه. الخط بالقوة في كل إنسان، لكن لا يخرج إلا بالقلم من ذوي الحكمة. أمور الدين والدنيا تحت شيئين أحدهما تحت الآخر، وهما السيف والقلم. والسيف تحت القلم.

لا يضبط الكثير من لا يضبط نفسه الواحدة^(١).

إذا أحببت أن يدوم حبك لأحد، فأحسن أدبه.

الجزع أتعب من الصبر.

ينبغي للرئيس أن يتدبّر بتقويم نفسه قبل أن يسرع إليها في تقويم رعاياه، وإلا كان بمنزلة من رام أمر استقامة ظلّ معوجّ قبل تقويم عوده الذي هو ظل له^(٢).

من قام من الملوك بالحق والعدل، ملك سرائر رعاياه. ومن قام منهم بالجور والقهر لم يملك إلا التصنّع منهم، وكانت السرائر تطلب من يملكها.

النفس الفاضلة ترتفع عن الفرح والحزن / ، لأن الفرح إنما يعرض إذا نظرت^{١٥٦} إلى محاسن شيء من دون أن تنظر إلى ما فيه من المساوىء. والحزن أن ترى مساوىء شيء دون شيء من محاسنه. والنفس الفاضلة تتأمل كلية الشيء معاً في

(١) ورد في «مختار الحكم» ص ٣٧.

(٢) ورد في «مختار الحكم» ص ٣٩.

فضائله ورذائله في هذا العلم، فلا يَغْلِب عليها إحدى^(١) هاتين الخلتين.
ينبغي للمرأة أن ينظر وجهه في المرآة: فإن كان حسناً استقبح أن يضيف
إليه فعلاً قبيحاً. وإن كان قبيحاً، استقبح أن يجمع بين قبيحين.
أصعب ما في هذا العالم تقويم مَنْ لا يُحصَل^(٢).
إذا ضاقت حالك، فلا تستشر الإفلاس، فإنه ما يشير عليك بخير.
مَثَلُ موقع الصواب من العلماء مَثَلُ موقع الجهل من الأغبياء.

(١) ص : أحد هذين.

(٢) ورد في «مختار الحكم» ص ٣٩ .

آداب بليناس الحكيم

القلم الطَّلَسَم الأكبر.

كلما حسنت نعمةً عند الجاهل، ازداد فيها قبحاً.

وقيل^(١) له: إلى ما ينتهي الحزن؟ فقال: إلى الكمد.

قيل: فإلى ما ينتهي الكمد؟ قال: إلى تلف النفس. قيل: وكيف ذلك؟

قال: يُنقى الحزنُ فضولَ البدن من الدرن وغيره، حتى يجلو البدن بجلده وعظمه، وتترآك الأوجاع على القلب بما تمده دواعي الفكر، فينغل القلب عند ذلك. فإن

انكماً، جسا. فهذا الداء، أي يعني: مات. وإن انفقاً، فهذا الذي لا ينفعه [٥٦ب]

الدواء. قيل له: وكيف ذلك؟ وكيف الكمد؟ مثله لنا. فقال: أن تكون دهر كمداً حزيناً، مجدداً لنفسك مصيبة في إثر مصيبة. فإن أكمد الحزين فتن، وإذا فتن انقطع، وفي الجملة: أشدّ على أهله من طول الحزن. وذلك أنه يورث الكمد، والكمد جرح لا يندمل أبداً دون الموت.

ومن^(٢) أقاويله: ترنّم الحزين مشقةً لكمده.

لا تندى العين حتى يحترق القلب. فإذا احترق القلب تلهّب شعله فهاج

إلى الرأس دخانه، فاستثار الدموعَ وقلّبا على قدر احتراق القلب.

إذا طاش العقل فُقدت الحرقه من القلب. وإذا فقدت الحرقه قَلَصَتْ

الدمعة واللوعة فأحرقته وحركته، فحزن وبكى.

(١) ص : فقيل.

(٢) ص : وفى.

وقيل له: ما بال الحزين يحويه قلبه إذا حزن، وتساعدته عيناه عند كل حركة؟ فقال: إن الحزين بدأ به الحزنُ فجاءَ في بدنه، فأعطى كل جزء بقسطه. ثم رجع للقلب والرأس فسكنهما. فمتى حرك القلب بشيء، تحرك، فهاجت الحُرقة متصاعدة، فاستثارت الدموع من شؤون الرأس حتى تصير إلى العين، فتذرفها حينئذٍ الجفون.

قيل له: فالشهيق الذي يعتري الباكي بعد البكاء؟ قال: إذا كان بدء البكاء تنفساً وزفيراً، وآخره شهيقٌ، فذلك موجعٌ قلق. فإذا كانت دمعة سائلة في هدوء ورفق فتلك الحُرقة في القلب يلقيها إلى العين.

آداب إقليدس

قال: الخط طولٌ بلا عرض.

الخط إظهار ما في الضمير بالكتابة. وأحسن الصبغ صبغ الخط الذي هو حلى العقول.

وكان يخطط الصور الهيولانية والكُرية تخطيطاً ويقول: ما خطّه الأقلام لا تطمع في دروسه الأيام. أو لا ترى أن الخط ضئيل له معنى جليل.
من جلالة القلم أنه لم يُكْتَبَ لله — عز وجل — كتابٌ إلا به.

الخط أول ما أظهرته النفس بعد الارتباطيقي، وهو هندسة روحانية تظهر بواسطة الجسد، مثل الصحيفة إذا لم يكتب فيها حكمة، وإن كانت بيضاء كالأرض ذات التربة السوداء. فإذا سُوِّدَت بالكتاب^(١)، افترت عن أنوار الأقاحي، وأزهرت بالحكم، كالأرض الزاهرة بأنوار الزهر المونق.

(١) الكتاب = الكتابة.

سؤالات الفلاسفة وأجوبتهم

سُئِلَ أسانس: أيّ شيء أصعب على الناس؟ فقال: العافية على أكثرهم، لأنها لأنفسهم.

وسُئِلَ أسانس، فسأله رجلٌ أراد شراءه عن جنسه، فقال: لا تبحث عن جنسي، وابحث عن عقلي.

[٥٧ب] وسئل أرسطوطاليس: في أيّ الأوقات تكون الباءة^(١)؟ فقال: إذا/اشتيت أن يضعف بدنك.

ورأى رجلاً مهموماً يفكر فقال: دع الفكر فإنه يدعو إلى عطب الذهن. وقيل له: لِمَ يقع الأشرار في الناس؟ فقال: يشتغل الناس بما نسبوهم إليه عن ذكر مساوئهم.

وقيل لبعضهم: لِمَ تخضب بالسواد؟ فقال: أكره أن أطالب بحكمة المشايخ. وسئل سولن: أي شيء أصعب على الإنسان؟ فقال : أصعب شيء على الإنسان أن يعرف عيب نفسه، ويمسك عمّا لا ينبغي له أن يتكلم فيه. وقيل له^(٢): ما فضّل علمك على علم غيرك؟ فقال: معرفتي بأنه قليل. شتم رجلٌ حكيماً، فقال له: لست أحبّ أن أدخل في حربٍ الغالب فيها شرّ من المغلوب.

(١) الباءة: الجماع. وقد ورد هذا القول في «مختار الحكم» ص ٢٩٧ .

(٢) في الهامش < ديمقراطيس > .

وقال: مَنْ استَحيا من الناس ولم يستحي من نفسه فلا قدر ولا قيمة لها عنده.

(١) وسمع [...] نس يدعو ربه أن يحرسه من أصدقائه. فقيل له: هلا دعوته أن يحرسك من أعدائك؟ فقال: لأني أقدر على الاحتراس من عدوي، ولا أقدر على ذلك من صديقي.

وحكي عن حافرناط أنه قال لتلاميذه: مَنْ لم يُضَمِّر نفسه في مضمار الرياضات، سُبِق إلى غاية الخيرات.

وقيل لبعضهم (٢): ما الذي كثر شأنك؟ قال: ترك الأنس بمودتهم. فقيل له: ما الذي أوحشك من الناس؟ قال: ذاك بعد اختبارهم. قيل له: ما أصبرك على عيب الناس إياك؟ قال: لأنا استوينا في العيوب/فأنا عندهم كهم عندي. [١٥٨] قيل له: لِمَ لا تحب صحبة الإخوان؟ فقال: لأني لا أحب صحبتهم ولم أرضَ عشرتهم، فأنا مستوحش منهم. وقيل له (٣): ما لفلان يكثر صحبة السلطان؟ فقال: لأن همته كبرت في الآثام.

قيل له: فما غايتك التي تنحو إليها؟ قال: التحرُّز من الجهال. وقيل لسقليبيوس: ما أملك فلان لنفسه! > فقال: < ذأ لا تصرعه شهوته. وقيل لسقليبيوس: إن فلاناً له همّة. قال: إذا لا يرضى بدون الجنة. وقيل لفيقرو > س < : إن فلاناً يفهم. قال: إنا لنكتفي بأدنى علمه.

(١) في الترجمة العبرية: تنافسن. وقد وجدنا أنه لا فائدة من مراجعة الترجمة العبرية فيما يتصل بهذه الأسماء.

(٢) في الهامش: هو نكافروس.

(٣) في الهامش: لارسطس.

وقيل لإياردقو < س > : ما لفلان أعرض عنك؟ فقال: ما أشبه إقباله بإدباره! قيل له: إنه يتوَعَّدك. قال: مَنْ زعم أنه يضُرّني فليَنفَع نفسه.
وقيل لفيلاسبيس^(١) : ما المروءة؟ فقال: ألا تعمل في السرّ شيئاً تستحي منه في العلانية.

وقيل لبكر^(٢) سرجس: أي شيء لا يَسَعُك تركه؟ فقال: ألا تدعوني رغبة في الجهل، ولا زهادة في العلم، ولا استحياء في التعلّم.
وقيل لإيرونيس^(٣): ما لذة الأنفس؟ فقال: مطالعة نسيم الحياة الدائمة التي تطمئن إليها النفوس، وترتاح نحوها القلوب، والوصول إلى حقائق الغيوب بضمائر الصدور، والمعاناة بالأفكار لسرائر الأسرار.
وسئل ارغاسانس: أي العلوم ينبغي أن يَعْلَمَها الصبيان؟ فقال: العلوم التي إذا شاخوا سَمَّج بهم ألا يحسنوها.

[٥٨ب] وقال إيتاغورس: لا ينبغي لواحد/منكم أن يُقدِّم أمور الحكمة بين يدي كسلان، لأن البهيمة إنما تحسُّ من الذهب والفضة بثقلهما، ولا تحسُّ بنفاستهما. وكذلك الكسلان إنما يحسُّ من أمور الحكمة بثقل التعب عليه منها، ولا يحسُّ بسياستها.

< قال > سوس: مَنْ عَلم أنه يموت، فلا يَغْتَمُّ من صعبٍ يعرض له، لأنه لا شيء أصعب من الموت. فما كان دونه فلا يَغْتَمُّ به، إذاً الموت لا بُدَّ منه.
وقال^(٤) < > لمون لتلميذ له: إن تهيّأ لك البلوغ في العلم من تلقاء نفسك مبلغ القدماء، فينبغي لك أن تستغني بغناهم لأنهم خلّفوا لك

(١) في الصلب: وقيل له. وفي الهامش ما أثبتنا.

(٢) ص: وقال بعضهم، وما أثبتنا في الهامش.

خزائن العلم في كتبهم، فافتحها وتدبرها، وأغنِ نفسك بها ولا تكن كأعمى في يده جوهرة وهو لا يدري: أجيدة هي أم رديئة.

ومدح رجلٌ > < رس على زهده في المال. فقال: وما حاجتي إلى شيءٍ البحث^(١) يأتي به، واللؤم يحفظه، والنفقة تبيده.

> وقال < رش: العمى خيرٌ من الجهل، لأن أشد ما تخاف من العمى التردّي في هوة، وأهون ما تخاف من الجهل الوقوع في الموت.

وقيل لفيلن^(٢) الفيلسوف: بأي شيء حظيت من الحكمة؟ فقال: بأني أفعل ما يجب عليّ اختياراً له، لا بإكراه الشريعة.

> وقال < ديمقراط: أشد الأشياء عالمٌ يجري عليه حكمٌ جاهل^(٣).

(١) كذا في ص ، وربما كان صوابها: البخت.

(٢) Philon ١٩ وقد ورد هذا القول في «مختار الحكم» ص ٢٩٨ .

(٣) ورد في «مختار الحكم» ص ٢٩٨ .

مكاتبات الحكماء وأجوبتهم

[٥٩] /كتب حكيمٌ إلى حكيم: إني سائلك عن ثلاثة أشياء، إن أجبت عنها تلمذت لك. فكتب إليه: سَلْ، وبالله التوفيق. فقال: أيُّ الناس أُولى بالرحمة؟ ومتى تضيع أمور الناس؟ وبِمَ تُتلقى نعمة الله عز وجل؟ فأجابه: أُولى الناس بالرحمة ثلاثة: البرّ يكون في سلطان العاجز فهو الدهر حزينٌ لما يرى ويسمع، والعاقل في تدبير الجاهل فهو الدهر متعبٌ مغموم، والكرّم يحتاج إلى اللئيم فهو الدهر له خاضع.

وتضيع أمور الناس إذا كان الرأي عند مَنْ لا يقبله، والسلاحُ عند مَنْ لا يستعمله، والمال عند مَنْ لا ينفعه.

وتتلقى نعمة الله بكثرة شكره ولزوم طاعته واجتناب معصيته.

قال: فأقبل ذلك الحكيم فتلمذ له حتى مات.

وكتب حكيم إلى آخر يشكو إليه دهره. فأجابه: إنه ليس من أحدٍ أنصفه زمانه فتصرّفت به الحال حسب استحقاقه. وإنك لا ترى الناس إلّا أحد رجلين: إمّا متقدم آخره حظّه، أو متأخر قدمه حظّه. فأرضَ بالحال التي أنت عليها، وإن كانت دون أملك واستحقاقك اختياراً، وإلا رضيت به اضطراراً.

وكتب مَلِكٌ هَجَرَ^(١) إلى بعض الحكماء أن اكتب إليّ بأشياء انتفع بها وأؤجر [عليها]. فكتب إليه:

(١) كذا مشكولة في المخطوط ص .

أوفق الأمور ترك الفضول، وقلة السقط. أرفع الصواب وأصلح المعيشة
استصلاح المال والتقدير، فإن التبذير مفتاح الفقر. ومن العجز والتواني نتجت
الهلكة. أحوج الناس إلى الغنى مَنْ لا يصلحه غيره. في المشورة صلاح الرعية.
رضا الناس غاية لا تدرك، فلا تكره سخط مَنْ رضاه الجبور، ولا تأخذك في الله
لومة لائم.

* * *

وكتب رجل إلى حكيم يشكو إليه تعذر الأمور عليه. فأجابه: [٥٩ب]
يا أخي، إنك لن تنال ما تحب حتى تصبر على كثير مما تكره. ولن تنجو
مما تكره حتى تصبر عن كثير مما تحب. والسلام!

* * *

كتب حكيم إلى آخر:
قد أسمعك الداعي، وأعذر فيك الطالب، وانتهى الأمر إلى الرجاء ولا أحد
أعظم رزيةً مِمَّنْ ضيَّع اليقين وأخطأه الأمل.
> وكتب حكيم إلى حكيم < آخر: أما بعد! فإن الله قد حفّ الدنيا
بالشهوات ثم ملأها بالآفات، ومزج حلالها بالمؤذيات، وحرامها بالتباعات
والعقوبات، وحلاوتها بالمرارات.

آداب الفيلسوف هاذرجيس* المعلم

بسم الله الرحمن الرحيم، وليّ الحكمة، ومنتهى الإنعام والرحمة، وغاية الطُّول [٦٠أ] والإحسان، الواحد بكل مكان/الذي جاز بالخير تفضيله، وجعل الشكر سبب الزيادة من عطاياه ومواهبه، والكفر تمحيقاً لرزقه ومنه. أنا هاذرجيس. وكان عظيم ما خصّني الله به من نعمة، مع الذي أسعدني به من خدمة الملك، والتحرّم بمناصحته، الحظ الجزيل الذي أنا فيه، والدرجة الرفيعة التي سما بي إليها، وتوفيقه إيّاي لحب الأدب واقتنائه، والرغبة في العلم واعتقاده، والانقطاع بالموذّة والهوى إلى أهله والتعظيم لحملته وأئمته. وإنه لما كان أعظم الأشياء موقعاً عند الملوك وبعض السوق^(١) منزلة الأدب والعلم، وكان ما سواهما من ذخائر الدنيا وعُقرها رهائن تُلَف، وودائع فناء، وكان كثرة العلم وذخيرته هو الذي يطول به استمتاع صاحبه وتعظيم به مسرّته ما لا يبلي على شدّة الاستعمال جدّته، ولا ينفد على كثرة الإنفاق، وكنتُ من الرغبة في العلم واقتباس الأدب، والحال في الدين والمنزلة على ما أنا عليه من ذلك؛ وكان من شكر العالم على علمه بذله إياه لمن يستحقه، والعذرُ منقطعاً عنه في أمانة القلب ودقّته، بعثني^(٢) على ذلك أن قيّدتُ في كتابي هذا [٦٠ب] كلاماً وحكمة كنت اعتقدتها عن رجالٍ/من أئمة الدين وحَمَلَة الأدب، فهو عوني على جلاء الفكر وعمارة القلوب. وبادرت بتقييده خشية الهرم ولا أمان معه من النسيان. ورجوت اكتساب الخير لنفسِي في بقائي وبعد وفاتي. أما الذي في

(٥) ورد اسمه في «مختار الحكم» ص ٢٧٩ : مهارجيس.

(١) ص :السوق.

(٢) الصواب أن يقول: بعثني ذلك على أن...

البقاء منه فاستجاب الفضل واسمه. وأما الذي في الفناء، فما يصل إلى روعي من بركة الدعاء بالخير. وكان عندي ظلماً فاحشاً وخيانة عظيمة إضاعتي إياه وتركه تمييزه: أما الظلم لو فعلته فلخاصة نفسي في حرمانها؛ وأما الخيانة فلطبقة من الناس وإهمال ما يلزمني لهم من التقويم والتسديد، وتركه الرغبة لهم فيما رغبت فيه من ذلك لنفسه، وما أحببت من وصول النفع به إليّ ممّن قرأه من خاص وعام، ومليك وسوقة، وتدبره على جمعه وتأليفه. وأحببت أن يكون لي في ذلك عند من وصل إليه كتابي هذا أبين العذر.

قال^(١): أمران يستصلح بهما المرء دنياه: أدبٌ يُقوّم به نفسه، واجتهادٌ تصلح معه معيشتة. وأمران يحتاجهما المرء لمعاده: عقلٌ يعرف به حظّه، ونزاهة يقهر بها شرهه.

وقال^(٢): أولى الأمور من العاقل قصْدٌ يستجمع له به حظّ الأولى والآخرة. وقال: مَنْ حَسُنَ حَمْلُهُ النُّعْمَ، اكتسب بالشكر الزيادة. [٦١]

وقال^(٣): استوجِبَ الشُّكْرَ مَنْ رَحَّبَ ذَرْعَهُ، وقهر حلمه غضبه.

وقال^(٤): اعصِ هواك ولو فيما تعتقد عاجلاً، وإن أرضاك.

وقال^(٥): الصمت مع فقد الخطأ في حينه أفضل من المنطق المصيب في غير أوانه.

(١) ورد في «مختار الحكم» ص ٢٨٠.

(٢) ورد في «مختار الحكم» ص ٢٨٠.

(٣) ورد في «مختار الحكم» ص ٢٨١.

(٤) ورد في «مختار الحكم» ص ٢٨١.

(٥) ورد في «مختار الحكم» ص ٢٨١.

وقال^(١) : كفاك من عقلك ما أوضح سبيل رُشدك من غيِّك.
وقال^(٢) : لا عائدة أعظم على صاحبها حسرةً من نعمةٍ أسديت إلى غير
ذي حسب ولا مروءة.

أولى^(٣) الأشياء بالصون والتكرمة علمٌ استجمع به حظ الدنيا والآخرة.
خير الكنوز والذخائر غناءً ما جعله العاقل وقايةً لنفسه، واكتسب حُسن
السماع ببذله.

لا يحمد^(٤) العاقل من السلطان والولاية إلا ما كسبه: لسانَ الصدق وجميل
الأحدوثة.

من^(٥) جاد لك بمودته، فقد جعلك عدلٍ نفسه.
بالعقل النافذ يعرف المرء رُشدَه، وباستبانه إياه يدرك حظّه. وكذا أن
الإنسان لا يستنفد جميع نور الشمس بصره، كذلك لا تحيط صفة الواصف بفقهِه
ذي الأدب الصالح.

وقال: الغنى نزاهة النفس، وملِك الهوى. وخير الولاة من عدل رعيته
بنفسه، [٦١ب] فعمل باستصلاحهم عمله في ما فيه صلاحُ بدنه، ولم يبلغ/لهم في العنف
منزلة تحمله على الندم في أمره والبرم بولايته، ولا حال إهمالٍ يدعوهم إلى
الاستخفاف بأمره. وظهور الهيبة من الولاة حُسَم لبوائق الأشرار والبغاة.

وقال: أحق الناس بدوام السلطان والولاية أبسطهم بالعدل في الرعية
وأخفهم عليها كلاً ومؤونة. وكذا أن البيان يُجلى عن الشبهة كذلك المشورة مُذهبة

(١) ورد في «مختار الحكم» ص ٢٨١.

(٢) ورد في «مختار الحكم» ص ٢٨١.

للعمى والحيرة.

وقال^(١): مَنْ حَسَنَتْ نِيَّتُهُ فَقَدْ اسْتَقَامَتْ طَرِيقَتُهُ. وَمَنْ لَانَتْ كَلِمَتُهُ وَجِبَتْ مَحَبَّتُهُ.

وقال^(٢): خَيْرُ مَا اسْتَثْمَرْتَ مِنْ عُرْفِكَ مَا ابْتَدَأْتَ بِهِ مِنْ غَيْرِ مَسْأَلَةٍ. وقال^(٣): كَمْ مِنْ أَدَبٍ قَدْ أَهْمِلَ بِسُوءِ صَيَانَتِهِ، فَكَانَ جَالِبَ حَتْفٍ عَلَى صَاحِبِهِ.

جَمَاع^(٤) مَا فِي الدُّنْيَا مِنْ مَكَاسِبِ الْمَسْرَةِ اعْتِقَادُ مَوَدَّةِ أَهْلِ الدِّينِ وَالْمَرْوَةِ. مَنْ بِالْبِرِّ كَانَتْ مَوَدَّتُهُ، دَامَتْ فِي النَّاسِ فَضِيلَتُهُ. أَحَقُّ أَهْلِ الْإِنْعَامِ مِنَ الْعَامَّةِ بِطُولِ الْعُمُرِ مَنْ لَمْ يَضْرِبْ مَعَهُ فِيهِ بِسْهُمِ الْمَشَارَكَةِ.

وقال: عَدَمُ جَوَامِعِ الْحَزْمِ أَفْضَلُ مِنْ عَجْزٍ مَعَهُ غُنْمٌ وَنَفْعٌ.

وقال^(٥): لَا يُوجِبُ الْعَقْلُ صَدَقَ الْمَحَبَّةِ إِلَّا لِأَهْلِ الْوَفَاءِ.

وقال: إِنَّمَا يَثْمُرُ الْمَعَادُ بِحِطِّ مَنْ زَادَ.

وقال: مِلَاكُ الْعَقْلِ تَجَرِبَةٌ إِلَى بَيَانِ مَعْرِفَةٍ، وَعَشْرَةٌ أَدَبٍ إِلَى مَنْزِلَةِ ثَقَةٍ.

وقال: مِنْ أَعْلَامِ/الْحَقِّ اعْتِقَادُ الرَّأْيِ. [٦٦٢]

وقال: مِنْ مَوَاقِعِ الْفَحْشِ مَفَارِقَةُ الثَّقَةِ، وَتَرْكُ الْأُنْثَى بِذَوِي الرَّأْيِ وَقَصْدُ الْمَشُورَةِ.

اسْتَكْمَلُ الْبِرِّ مَنْ بَرَّ بِغَيْرِ اكْتِسَابِ رَغْبَةٍ، وَلَا مَا يَدْفَعُ بِهِ مَحْذُورَ رَهْبَةٍ.

(١) ورد في «مختار الحكم» ص ٢٨١.

(٢) ورد في «مختار الحكم» ص ٢٨٢.

حقيق من الناس بحُسن اللقاء مَنْ عَظُمَت رغبته في اكتساب البرِّ
والوفاء.

ليس أحدٌ أبعد من الخير واكتسابه مِمَّن لم يعرف طعم حلاوة إثناء الوفاء
وفضل منزلته.

دُمْ في الأثرة والمعزة لمن حباك ودّه على ذوي قرابته. وانظر إلى عدوك بغير^(١)
شنان وبغضة. واستصلح نفسك بعقلك. واجعل أدبك بمنزلة مرآة تدرك بها ما
انتشر من أمرك.

الطُف لمسألة عدوك، وإن كنت واثقاً بكَيْدِكَ وقهرِكَ.
وقال: شدة الخذر وترك الغيرة هما جِماع ما يَسلم به الحازم من مواقع
النكبة.

حلية المروءة صون المرء نفسه وقمعه هواه وشهوته. وثمرتها ما يكتسب من
حُسن الثناء وفضل المحبة.

لم يترك مِنْ جهده من تعرّض في خطّه بكرهه.
وقال: كما أن آفة النجدة عدم الرؤية، كذلك آفة العلم فَقْدُ الحلم والمروءة.
إن^(٢) التماس ما لا يُدْرِك عناءً ومشقةً، وكذلك تقويم الجاهل توهين للعقل
والمروءة.

[٦٢ب] لا يُحَمَّد من حسن المخالفة إلا ما كان/منها غير موازنة.

(١) في الهامش: بعين.

(٢) ورد في «مختار الحكم» ص ٢٨٢.

من رجا استثمار جودك بحُسن ما يخلفك بغيره، فاجعل اليأس والحرمان
ثمرةً لسعيه.

استحق^(١) منك القطيعة من ضايقتك في حَضَّه بالنصيحة، وَمَنْ تَمَسَّكَ
منك بجرمة المعرفة فاضرب له بسهمٍ مطلوب المنفعة.

كما^(٢) أن الأدب والعلم أسُّ السعادة، كذلك الحِلْم والتواضع جِماع البرِّ،
وسببٌ لدرك حُسن المنزلة.

السعيد^(٣) مَنْ قمع بالصبر شهوته، ودبّر بالحزم عزمه.

من^(٤) ساءت ظنونُه، نَقَصَ معيشتُه، وعظمت مصيبتُه.

كما أن توليد المصباح سطوعُ ضوئه، كذلك الأدب^(٥) ينفي الغم والشكوى
عن أهله.

لا^(٦) شيء أبلغ لبقاء النعمة مِنْ صونها وترك الخيلاء فيها.

أكمل^(٧) الناس عقلاً أغلبهم للهوى، وأقهرهم للشهوة.

كرم الحسب عونٌ على تثير الأدب.

ومع حفظ العهد يزكو قليل الود.

أسلمُ الناس مِنْ دنس العيوب أبعدُهم من سوء ما تنطوي عليه القلوب.

استحق^(٨) اسم اللؤم والخيانة مَنْ جمع إلى قِلَّة الشكر على النعمة الجحودَ

(١) ورد في «مختار الحكم» ص ٢٨٢ .

(٢) ورد في «مختار الحكم» ص ٢٨٢ .

(٣) ورد في «مختار الحكم» ص ٢٨٣ .

(٤) ص : ينقى.

لها والمكافأة عليها.

من^(١) اقتصر على العدل في مطلبه، كان حقيقاً ألا يُحرَم الفلج^(٢) من
عدوه.

(١) في «مختار الحكم» ص ٢٨٣ .
(٢) الفلج: الانتصار.

آداب فلاسفة الجنّ

[٦٣]

وما نطقوا به بين يدي سليمان بن/داود
— عليهما السلام — ودونه في حكمةٍ مَنْ بعده

ذُكر لسليمان بن داود — عليهما السلام — أن في جزيرة من جزائر البحر
حكماء من الجن يتكلمون بالحكمة. فأحب سليمان — عليه السلام — أن
يسمع ذلك منهم. فأمر الريح الرخاء فحملته حتى حطته في تلك الجزيرة.
فاجتمعت إليه الجن. فسألهم أن يذكر كل واحد منهم ما يحسن من الحكمة.
فتكلم كل واحد بكلمةٍ حفظها سليمان عليه السلام، وأثبتها في كتاب حكمته.
وكان عدد مَنْ اجتمع إليه من حكماء الجن مائة وعشرة حكماء.

فابتدأ الأول فقال: المقادير ترك ما لا يخطر ببالك.

من ضيّعه الأقربُ أتاح الله له الأبعد.

لكل امرئٍ في يديه شغلٌ لو عقل.

إنما يُطلب العلم ليُعلم، ليس ليُجهل.

إذا حدّثك أخوك فاستمع منه.

الحذر لا يدفع واقعَ القدر.

أجمل في الطلب، فإنما لك حظك.

مَنْ ترك السؤال غرق في الجهل.

الدليل على أن ما في يدك ليس لك أنه كان لغيرك فصار لك.

من جعل همّه واحداً كُفّي سائر الهموم.

لا بد للمسافر أن ينتهي إلى الغائب.

ليس بعد الورد إلا الصّدر.

عند الغاية يُعرف السابق.

أفضل/الزاد ما يزود ليوم المعاد.

[٦٣ب]

إنما يحظى في القيامة مَنْ نال المنى.

للمنايا علل.

الفحل يحمي شوله ونفسه.

صغير الشرّ يوشك أن يكبر.

ليس منزل الضيف عرين الأسد الجائع.

عواقب المكاره محمودة.

لا تبلغ الغايات بالأمانى.

الضيف يَحْمَدُ أو يَدُمُّ، فاحذره.

زاد المُعْدِم عتيد..

إذا أخلقت وجهك لم تجد من يجده لك.

مَنْ أَكْثَرَ الْفَكْرَ اعتبر.

ليس منك مَنْ عَشَّكَ.

حميمك مَنْ وَدَّكَ.

عند الحوادث تعرف أخاك.

كم شاهدٍ لك لا ينطق!

ما على ذي عقلٍ ضيعةٌ في أحواله.

ضيّع مَنْ استودعَ الأحمق.

ما داويتَ الأحمقَ بمثلِ الإعراضِ عنه.

لا تعتقدن وديعةً مالأً.

ما على من اجتهد في رأيه عتبٌ.

الرأي أن تملك إمضاءه.

الصنيعة تربيها فتنمى.

القلب يبصر ما يعمى عنه البصر.

نعم الجنة المال في يد الإنسان.

المال يستر القبيح.

المال يُكسِبُ الحسنة.

مَنْ رَبَّ المعروفِ بمثله لم يُضَيِّع.

مَنْ استرعى غيرَ الأمين لم يَلْمُ إِلَّا نفسه.

اصمتْ نَعْتَم، أو تكلم بحكمةٍ تُسَلِّم.

خُذْ ما أعطيت من العافية بشكر.

لا تتكَلَّفْ/ ما قد كُفِيت.

لا تضيّع ما وليت.

معاداة العاقل خيرٌ من مصادقة الأحمق.

معاداة الحليم أقلُّ ضرراً عليك من مودة الجاهل.

من يَقرَّب من الشرِّ لم يسلم منه.

[١٦٤]

أول العلم الصمت، والثاني الاستماع، والثالث الحفظ، والرابع العلم.
صُنْعَكَ لِأَخِيكَ حَاجَةً أَجْمَلُ بِكَ مِنْ مَطْلِهِ بِهَا.
ليس العالم الذي يعلم الخير من الشرّ، ولكنه الذي يعلم خير الشر.
نَعَمْ وزير العلم الحلم.
نعم وزير الحلم الرفق.
المزاح يُمْرِضُ القلب وينبت النفاق فيه.
إياك وما تريد أن تعتذر منه!
الحليم يُعْرِفُ عند الغضب.
الزهد في الدنيا راحة القلب.
حُبُّكَ الشَّيْءَ يُعْمِي وَيُصِمُّ.
لا تَشْفَعَنَّ بِكَذَابٍ: فَإِنَّهُ يَقَرِّبُ عَلَيْكَ الْبَعِيدَ، وَيَسَهِّلُ لَكَ الْوَعْدَ.
لا تجعل شفيْعَكَ إلى أَحَدٍ مَنَ لَهُ عِنْدَهُ طِعمَةٌ^(١)، فَإِنَّهُ لَا يُوَثِّرُكَ عَلَى
طِعمَتِهِ.

لا تشفعن بأحمق، فإنه يجهد لك نفسه ولا يبلغ رضاك.
العيال سُوسُ المال.
جهد البلاء كثرة العيال وقلة المال.
عزّ العاقل غناه عن الناس.
من قنع شَبِيعَ، ومن طمع ضَبِيعَ
/مَنْ صَانَ وَجْهَهُ عَنِ الْمَسْأَلَةِ حَفِظَ مَاءَهُ.
[٦٤ب]

(١) طعمة: حاجة يطعم في تحصيلها منه.

من تكلفُ أمراً بغير علمٍ أعياه الطلب.
 كاد الفقر يكون كفوّاً.
 [كادت الحاجة تكون كفوّاً] ^(١).
 الحاجة: الموتُ الأكبر.
 فَوْتُ الحاجة خَيْرٌ من طلبها إلى غير أهلها.
 من حق القرابة أن تفرشه معروفك، وتكفَّ عنه أذاك. ومن حقه أن تصله
 إذا قطعك، وتعطيه إذا حرمك.
 لا خير في البرِّ إذا اقتضى.
 البلاء موكل بالمنطق.
 من هرب من شيء وقع فيه.
 مَنْ أَكْثَرَ مِنْ شَيْءٍ عُرِفَ بِهِ.
 مَنْ قَالَ فِي النَّاسِ قَالُوا فِيهِ.
 مَنْ عَابَ النَّاسَ بِمَا فِيهِ عَابُوهُ بِمَا فِيهِمْ ^(٢).
 النفاق في الإنسان أخلاق.
 من أساء خلقه عَذَّبَ نفسه.
 احذر الأمين، ولا تُنَسِّ الخائن، فإن القلوب بيد غيرك.
 لا تأنس بمن يضحك في وجهك.
 من اقتصد في الغنى والفقر، حَمِدَ عاقبة أمره.

(١) ورد في الهامش، ونقترح حذفه.

(٢) في الهامش: من عاب الناس بما فيهم، عابوه بما فيه.

من لم يَتَلْ حاجته من الأدنى، أبعد التُّجعة إلى الأقصى.
 عند الرهان يُعَرَّف المضمار.
 صاحب الخطوة غداً مَنْ بَلَغ المدى.
 أفصحُ الإِرغاء باللين.
 قد أشرق الصبح لذي عينين.
 كل غيرة رجلٍ إلى الخير داعية.
 ما استبقاك من عَرَضِكَ/للأسد.
 لا عَفْوٌ إِلَّا لذي قدرة.
 رُبَّ محتقبٍ حمداً بلا مرزئة.
 زَلَّةُ الأصيل على قدر أصالته.
 الصريمة لذي العزيمة.
 زاد المعدم عتيد^(١).
 لا يَألم الذمُّ مَنْ هان عليه عِرْضه.
 الناس تحت يدك ما رجوك.
 ما نَظَرَ لامرئٍ مِثْلُ نفسه.
 قضى لك إحسانك حمداً، أو ذمّاً.
 إنما لك من مالك ما أمضيته لسبيله في حياتك.
 الضيعة: المربعة، والمدينة: الوالدة.
 لا صنيعه إلا عند ذي رويّة.

[١٦٥]

(١) ورد من قبل ص ١٥٨، س ١٤٠ :

[٦٥ب]

الذئب لا يُستَرعى^(١).

جلُّ في عينك مَنْ استغنى عنك.

رُبَّ حَسَبٍ آفته الفقر.

الغنى حَسَبُ مَنْ لا حسب له.

يدك منك، وإن كانت شلاء.

عيك مستور ما ساعدك جدك.

ما يبالي الصدوقُ مَنْ كذب.

فلما فرغوا من كلامهم، أثبت سليمان — ﷺ — جميع ذلك في حكمته، وعاد إلى موضعه.

[تم الكتاب بحمد الله وحُسن عونه، في ذي قعدة سنة أربع وتسعين وخمس مائة. وصلى الله على محمد، البشير النذير، وعلى آله الطاهرين الطيبين وشرف وكرم].

[وجدت في الكتاب المنتسخ منه هذا الكتاب: تم الكتاب بحمد الله من اختيار... ..]

(١) أي: لا يطلب منه أن يكون راعياً.

فهرس الأعلام

<p>ألبون البطريق ٨٨ . أُم الإسكندر الأكبر ٩١-٩٧ ، ١٠٥ ، ١٠٧-١١١ . أنو شروان ٥٩ . أوثيوس ٤٧ . أوميرس ١٣٦ . أتياغورس ١٤٦ . إيرونيس ١٤٦ .</p>	<p>— أ — أبقراط ٤٦ ، ١٢٠-١٢١ . أرسطاطاليس ٣٩ ، ٤٦ ، ٥٢ ، ٥٣ ، ٥٥ ، ٧٩ ، ٨٠ — ٨٦ ، ٨٧ . أرسطراطس ١٤٤ . أرسطفوس ٣٩ ، ٤١ . أرغامانس ١٤٦ . الإسكندر الأكبر ٤٧ ، ٨٣ ، ٨٧-١١١ . أصحاب اللذة ٤٢ . أصحاب المظلة والرواق ٤٠ ، ٤١ . أفلاطن ٣٨ ، ٤٢ ، ٤٦ ، ٥١ ، ٥٢ ، ٥٣ ، ٥٥ ، ٦٦ ، ٧٤-٧٩ . أفلاطن ٤٦ ، ٨٩ . أفيقورس (= أبيقور) ٣٨ ، ٤٧ ، ١٤٥ . أقاراميا ٣٩ . إقليدس ١٤٣ .</p>
<p>— ب — بطليموس ٤٧ ، ١٢٤-١٢٨ . بكرسرجس ١٤٦ . بليناس ٤٧ ، ١٤١-١٤٢ .</p>	
<p>— ج — جالينوس ٤٦ ، ١٢٢-١٢٣ .</p>	
<p>— ح — حافرنات ١٤٥ .</p>	

سولون ٤٧ ، ١٣٩ — ١٤٠ :

. ١٤٤

سيلاقس ٤٦ .

— ص —

الصابئة ٥١ .

— غ —

غوثاغوريوس ٤٧ .

— ف —

فرفوريرس ٤٦ .

فوٹاغورش ٣٩ ، ٤١ ، ٤٥ ، ١١٦ —

. ١١٨

فوروخوس ٤٦ .

فورون ٣٧ .

فيقورس ٤٧ ، ١٤٥ .

— ق —

قورينا ٣٩ .

— ك —

كسانوقراطيس ٣٨ .

— خ —

خروسيس ٤٧ .

— د —

داريوش ١٠٣ .

دميانوس ٨٨ .

ديمقراط ١٤٧ .

— ذ —

ديوجانس ٤٥ ، ١١٢ — ١١٥ .

— ر —

روفسطانيس ٥١ ، ٥٢ .

روكسانا ١٠٣ .

— س —

سبوسيفوس ٣٨ .

سجسطس (= سكتوس امپريكوس)

. ٣٧

سقراط ٤٢ ، ٤٥ ، ٦٢ — ٧٣ .

سقلييرس ١٤٥ .

سليمان بن داود ١٥٧ ، ١٦٣ .

السوفسطائيون ٦٨ .

— ه —

هاذرجيس ١٥٠ — ١٥٦ .
هرمس ٤٧ ، ١٣٣ — ١٣٥ .

— ي —

اليهود ٤٠ ، ٥١ .

— ل —

لايرونيس ١٤٦ .
لقمان ٤٧ ، ١٢٩ — ١٣٢ .
لوقانيوس الملك ٥٦ .
اللقيون ٣٩ .

— م —

المشائيون ٣٩ ، ٤٢ .
مهواريس ٤٧ .

— ن —

النصاري ٤٠ ، ٥١ .
نطافورس ٥١ ، ٥٢ ، ٥٥ .
نطوفورس ٤٧ .

فهرس الكتاب

صفحة

٥ تقديم
٧ تصدير
٨ ١ — عنوان الكتاب
٨ ٢ — مخطوطاته
١٠ ٣ — الترجمة العبرية
١٤ ٤ — الترجمة الأسبانية
١٥ ٥ — من أين استقى حنين مجموعه هذا؟
١٩ ٦ — المنتخبات في الأدب البيزنطي
٢٥ ٧ — مجاميع الأمثال البيزنطية
٢٥ ٨ — من نقلوا عن كتاب حنين
٢٧ ٩ — مخطوطة غير مباشرة لـ «نواذر الفلاسفة»
٢٨ ١٠ — الدراسات حول كتاب «آداب الفلاسفة»
٣١ ١١ — نشرتنا هذه

«آداب الفلاسفة»

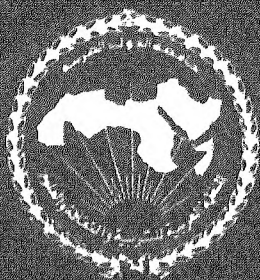
لحنين بن إسحق

اختصار محمد بن علي بن إبراهيم الأنصاري

٣٧ تمهيد
٣٧ فرق الفلاسفة

٤٤ ذكر الفلاسفة
٤٥ نقوش فصوص خواتيم الفلاسفة
٤٨ اجتماعات الفلاسفة في بيوت الحكمة في الأعياد، وتفاوض الحكمة بينهم
٤٩ اجتماع آخر
٥١ أصل اجتماعات الفلاسفة
٥٣ [حكمة أرسطوطاليس]
٥٦ ١ — اجتماع من اجتماعات الفلاسفة
٥٦ ٢ — اجتماع آخر
٥٧ ٣ — اجتماع آخر
٥٨ ٤ — اجتماع آخر
٥٩ ٥ — اجتماع آخر
٦٠ ٦ — اجتماع آخر في اللواحق
٦٢ آداب الفلاسفة المذكورين بالحكمة:
٦٢ آداب سقراط
٧٤ آداب أفلاطن
٨٠ آداب أرسطاطاليس
٨٢ تسبيح أرسطاطاليس
٨٤ رسائل أرسطاطاليس إلى الإسكندر
٨٧ آداب الإسكندر بين فليفوس الماقدوني المعروف بـ «ذي القرنين»
 خبر الإسكندر في آخر علته لما أيقن بالموت — وكان سُقِّي سُمًّا
٩١ وكتابه إلى أمه ينهاها عن الجزع ويأمرها بالصبر عنه
٩٣ رسالة الإسكندر إلى أمه يعزّيها بنفسه
٩٦ كلام أم الإسكندر لما قرأت كتاب ابنها في تعزيتها

٩٧	وفاة الإسكندر وحمله في تابوت الذهب إلى أمه، وكلامها عند نظرها إلى تابوته
	حضور جماعة من الفلاسفة وحكماء الأمم حمل تابوت الإسكندر
٩٨	ببابل، وقول كل واحد منهم
١٠٤	ذكر حمل التابوت من بابل إلى الإسكندرية
١١٠	كتاب أرسطاطاليس إلى والدته الإسكندر يعزيها به
١١١	جواب أم الإسكندر لأرسطاطاليس
١١٢	آداب ذيوجانس
	آداب فيثاغورث لتلاميذه وجميع المتأدين بين الناس أجمعين
١١٦	التي سماها جالينوس : «الذهبية»
١٢٠	آداب أبقرراط
١٢٢	آداب جالينوس
١٢٤	آداب بطليموس
١٢٩	آداب لقمان الحكيم
١٣٣	آداب هرمس
١٣٦	آداب أوميرس
١٣٧	آداب أنوشوس
١٤١	آداب بليناس الحكيم
١٤٣	آداب إقليدس
١٤٤	سؤالات الفلاسفة وأجوبتهم
١٤٨	مكاتبات الحكماء وأجوبتهم
١٥٠	آداب الفيلسوف هادرجيس المعلم
١٥٧	آداب فلاسفة الجن
١٦٥	فهرس الأعلام
١٦٩	فهرس الموضوعات



HUNAIN IBN ISHÂQ

Âdâb al-Falâsifa

(SENTENCES DES PHILOSOPHES)

Abréviation par

Moham. Ben Alie Ben Ibrahim

EDITION CRITIQUE, NOTES ET
INTRODUCTION

Par

ABDURRAHMAN BADAWI

Publications de l'Institut des Manuscrits Arabes
KOWEIT B.P. 26897 Safat

1985

Bibliothèque



0204070

Organisation De La Ligue Arab Pour
Education La Culture Et Les Sciences